ndu spirit

عدد ٥٠

كانون الأوّل ٢٠١٠

هذا هو العددُ الخمسون.

لغيرِنا أن يَرفعَ كأسًا ويَشربَ نخبًا ويُغدِقَ أمنيةً وتَبريكا.

نحن، يَكفينا أنّ يدَنا بَعدُ على المحراثِ ونَنظرُ إلى الأمام.. إلى خبزٍ وإدام،

ونَبذلُ العَرقَ

في سبيلِ كلمةٍ تضيءُ

في سبيلِ صورةٍ تَدُلُّ

في سبيلِ المائدةِ الجَمّة

وفي سبيلِ التّرسُّلِ إطلاقا

نَبذلُه في الصّعبِ.. في الصّبرِ.. في صوامعِ الذّهَب،..

ونُنبِتُ الزّهرَ أُصُصًا أُصُصا، لعينٍ تَرى وأنفٍ يَشُمّ!

التّحرير

NDU Spirit دوريّة حول علامات
الحياة في عالم جامعة سيّدة اللويزة

رئيس التّحرير
جورج مغامس

التحّرير بالانكليزيّة
كينيث مورتيمر

تَتَبُّع أَنشطة
تاتينا روحانا

تنضيد بالعربيّة
ليديا زغيب

تصوير
عبدو بجّاني

تصميم وإخراج
ريبيكا موراني

طباعة
مطابع معوشي وزكريّا

هاتف: ٩٩٦ ٢٠٨ (٠٩)
هاتف /فاكس: ٢٠٥ ٢١٤ (٠٩)
موقع الكترونيّ: www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit

المحتوى

THIRD MILLENIUM

كلمة

مدارات الجامعة



التّخرّجُ العشرون: ١٠

مقالات

قصّة





UNIVERSITY OF THE

مراجعات

براعم

شعريّات

من منشوراتنا



جورج مغامس

الامتحانُ الدّائم وخيرُ البراهين

إذا قيل: تحاورَ القومُ، فهذا يَعني أنّهم تراجعوا الكلامَ وتجاوبوا. فهل هذا هو الجاري عندنا، أم هو الخُوارُ ما يَسودُ، فإذانا نَتخاورُ لا نَتحاور؟!

بلى. ويا لَلُمنكَر! نحن في حالٍ من الخُوار، ونَتصايحُ كثيران، ولَكم نُثيرُ من غبارٍ يُعمينا ويُعمي النّاظرينَ! حتّى الحِبرُ صار له حنجرةُ البراكينِ وألسنةُ الرّياح!!

أمّا الحوارُ فثقافةٌ نَتنشّأُ عليها منذ الصّغر، في البيتِ والمدرسةِ وكَنفِ دُورِ العبادة، على الأخصّ. لكنّ هذه الثّقافةَ مقطوعةُ الحَيلِ، هذه الأيّامَ، وتَنـزاحُ إلى غروبٍ وغربة، بسببٍ من سوءِ تقديرٍ أو سوءِ تدبيرٍ ولا مبالاة. ففرصُ التّواصلِ والمكاشَفةِ إلى انحسارٍ أو انعدام، ولا مَن يُفضي ويُسِرُّ أو يَعقِدُ عُروةً بسُداها. وهو الصَّخَبُ ما يَسري ويَسودُ، أوِ الصّمتُ الّذي كصمتِ القبور؛ وكلاهما مَقيتٌ مُميت!

في البيت، قلّما تلتئمُ العائلةُ حول مائدة. كلُّ وحدَه ويَتولّى أمرَه، ..وبوَجَباتٍ كثيرًا ما هي مطلوبةٌ مجلوبة. ومَن ليس أمام التّلفزيون أو الإنترنت، يَشغلُه الهاتفُ أو الخَلويُّ أو المِسماع. لكلٍّ عالمُه، وفي عالمِه ذهابًا وإيابًا. وما مِن أخذٍ وعطاءٍ إلاّ في الضّروراتِ.. القصوى تحديدًا؛ وقد لا يُفهِمُ الحُدّاثَ لا سؤالٌ ولا جواب. فثَمّةَ بَلبلةٌ ورَجعُ أصداء! أمّا القولُ إنّ الأمَّ تلمّ، وهي السّتُّ لأنّها تُحامي عن بيتِها وتفدّيه من جهاتِه السّتّ، فقولٌ من أوتوبيا الزّمنِ البائد، بلا مضمونٍ ولا مفعول. ويا حسرةً ضَروسًا على زمنِ بطريركيّةِ الوالدِين، يومَ كان السّهرُ الرّقيبُ الحريصُ حارسَ السّراطِ المستقيم، ويومَ كان الاحترامُ دِينًا ودَيدنًا وقوامَ نظامٍ وانتظام! لقد انقطعَ حَبلُ السَّهرِ والحوارِ والاحترامِ في بئرِ الصّداعِ والتّصدّعات...

وبالنّظر إلى المدرسةِ، توأمِ البيتِ في العنايةِ والرّعايةِ مبدأً وغاية، فإنّها، ومن حيثُ تدري أو لا تدري، تُعلي تلك القولةَ الوحشيّةَ laisser passer laisser faire، حتّى باتتِ المحاسبةُ غيرَ محسوبةٍ إلاّ في حدود، والمساءلةُ غيرَ مسؤولةٍ إلاّ في حدود، وباتَ ما يَصيرُ يَصيرُ بالتّراضي وكيفما تَيسّرَ ووافقَ الهوى والمزاجَ؛ بل بات يُخشى لو نَشطتِ الهرولةُ في هذا السّبيل، سبيلِ دَعْ عنكَ ولا تبالِ وغُضَّ الطّرْفَ دون هذا العيبِ أو ذاك القصور..، أن يَقوى شيطانُ التّجارةِ على ملاكِ الرّسالةِ ويَطردَه. والحالُ هذه، يأتيكَ سائلٌ يَسألُ: إلى متى هي مدرستُنا تَمضي في تجربةِ الحداثةِ المزيّفةِ أصلاً وأصالةً، تُغريها وتُلهيها بيارقُ وبوارقُ، حتّى ابتُليتْ بداءِ انعدامِ الوزنِ في فضاءِ المناقبِ والقيمِ وأصولِ الفنونِ ومَجاني الآدابِ واللغات؟! ولماذا لا يُعيدون لنا مدرسةَ السّاعةِ الرّابعةِ، المدرسةِ الّتي تُريحُ من لُهاثٍ وراءَ تحصيلِ عَجلانَ نَهِمٍ مُبتَسَرٍ ومبتور، وتُتيحُ التّواصلَ التّعارفيّ التّشاركيّ حقًّا في غيرِ موضعٍ وموقع؟

فإذا قيلَ: تقدّميّةُ الغربِ مَثلُها ومِثالُها، يَحضرُ الجواب: الغربُ يدَينُ تجربتَه ويَعدِلُ عنها، بعدما أَدركَ، بلحمِه ودمِه والرّوح، ما الّذي جرّته عليه وزجّته فيه، ولا يَخفى، إنْ على المستوى الأُسريّ والمجتمعيّ، أو على المستوى الوطنيّ والدّينيّ.. والانسانيّ عمومًا، حتّى لَكأنّ الدّنيا في الفوضى العارمة.. في الياجوجِ والماجوج، تحت مِقصلةِ حتميّةٍ أو قَدَريّةٍ.. سَيّان.



بلى. كلُّ شيءٍ في الدّنيا له حدودٌ وله حُرُمات، واحترامُها من لزومِ ما يَلزم. فالأمُّ أمٌّ، وليست اسمَ عَلَم. والأبُ أبٌ، وليس اسمَ عَلَم. وكذا حالُ الأخِ والأختِ وكلِّ ذي قُربى ورئاسةٍ.. والمعلِّمين المعلِّمين، أُولاءِ الّذين كان لهم، ومنهم، حَظُّ المرافقةِ الرّفيقةِ، يومَ أُعطيَ لهم أن يكونوا الوكيلَ الأمينَ حتّى على الضّميرِ والمصيرِ!.. فإنّ لهم جميعًا مَقاماتٍ وصفاتٍ وألقابًا، بها يَتميّزون، ولا يجوزُ أن تُترَكَ سُدىً مُسَيَّبَةً هَمْلاً. والمعلّمون، مرّةً أخرى، كيف يُرتَضى لهم ويَرتضون أن لا يكونوا هم أوّلاً، لا سواهم، المنارةَ والملاذَ والفيصلَ في مَساراتِ التّدبيرِ والتّيسير؟ أمَا هُمُ طليعةُ قادةٍ يُحتَذون؟ والشّعوبُ.. أمَا هي بقادتِها؟!

بلى بلى. الشّعوبُ بقادتِها، في الدّينِ وفي الدّنيا. فالبيتُ قيادة. والمدرسةُ قيادة. وقيادةٌ أيضًا وحتمًا ثالثةُ الأضلع: الدّين. فثمّةَ إذًا ثالوثٌ لتأسيسِ الذّاتِ وإعلاءِ بنائها في المسالكِ وفي ما رواءَ الأكَمات. وإنّها جميعًا، بماهيّاتِها ووظائفِها وأدوارِها والرّسالات، أمامَ الامتحانِ الدّائم.. امتحانِ الحوارِ، بما هو اعترافٌ بالآخَر، وتواضعٌ معه على البلوغِ معًا إلى تسويةٍ مرنةٍ وتحريكيّةٍ، توازنُ بين هذه المصالحِ وتلك وهذه الخياراتِ وتلك وما بين سائرِ الاحتمالات، ما يُفضي إلى المسالمةِ وقيامِ عَقدٍ اجتماعيٍّ متماسكٍ مثمرٍ فعّالٍ ومنفتح.

وفي عَطفٍ على دُورِ العبادةِ، فإنّها هي الأخرى تُعاني الوَحشةَ الباردةَ من قلوبٍ جَفّتْ فيها المحبّةُ وغَلُظَتِ الرّقاب، وتَستوجبُ «غضبةَ بطرس».. الغضبةَ التي من سِيمونيّةِ الرّتبِ والرّواتبِ والمَرتبات، وتَتسترُ بعِمّةٍ وجُبّةٍ وعِصمةٍ مزعومة!

ويا ما يؤلمُ، بَعدُ، أن يصيرَ علماءُ الدّينِ أو رجالُه علماءَ الحكّامِ أو رجالَهم؛ وأن يَتحوّلوا من رُعاةِ الدَّعَةِ وخَفضِ الجَناحِ إلى دُعاةِ النّكيرِ والتّكفيرِ وأسبابِ الأمرِ والنّهيِ والانصياع- وإنّ مَن يُملي ليس كمن يَلُمُّ، لأنّ الأوّلَ يُلقي على سواه ما يَرى وجوبَ أن يتلقّاه، والثّاني يقاربُ بين شَتيتِ أمورِه ويُصلحُ ما تَشعّثَ من حالِه! وهل يَحدثُ تقريبٌ وإصلاحٌ بإلقاءٍ وتلقٍّ فحسْبُ، أم لا بُدَّ من تواصلٍ وتشاركٍ وتوافقٍ بفهمٍ وإفهامٍ وتفاهم؟! ألا إنّ الاستبدادَ، وإنْ عادلاً، هو أبغضُ الحلال. وإنّ دينًا بالإكراهِ هو أشبهُ بنارٍ في الحشا، فكيف إذا زَوّرَ مَقاصدَه المزوِّرون وأفتَوا بنيّاتِهم والغاياتِ حين يؤوّلون؟!

إنّنا، ومتى اعترفنا بالآخرِ مساويًا لنا في الجوهر، واحترمنا حدودَ ما له وما عليه في حدودِ مواهبِه وأحلامِه وتطلّعاتِه وطموحاتِه وطاقاتِه وإمكاناتِه معًا، ومشينا دروبَ الحياةِ معه يدًا بيدٍ بالتزامٍ وتلازمٍ وسَعَةِ أفقٍ ورؤيا،.. فإنّنا لا يمكنُ إلاّ أن نكونَ في الحوارِ.. في محورِ المَحاورِ الأرقى من إنسانيّةِ الانسان، والّتي تُنسَجُ أوّلَ ما تُنسَجُ بل أقوى وأبقى، على منوالِ الوالِدين والمعلّمين وسُرُجِ الدّين.

والتّجربةُ خيرُ البراهين...

في افتتاح السّنة الدراسيّة

رئيس الجامعة: لمتابعة الطريق في البناء التربويّ والحجريّ، وفي جلاء الهويّة، وفي إرساء وحدة الأسرة.



ظُهرَ يوم الجمعة، ١٥/١٠/٢٠١٠، اجتمع أهلُ الجامعة في كنيستِهم، رافعين عقولَهم وقلوبَهم إلى العَليِّ أن يباركَ سنتَهم الجديدة، فتثمُرَ الثمرَ الطيّبَ على مختلفِ المستويات.وباسمِهم جميعًا، سأل الآباءُ السيّدةَ العذراء، أمَّ العنايةِ والعطايا، أن يُفيضَ ابنُها الفادي مواهبَ روحِه القدّوس على زرعِ السنةِ جميعِها، فتعمرَ البيادرُ وتكثرَ الغلال.. ودائمًا في ظلِّ يمينِ رحمتِه وحمايتِه.

وجاء في كلمة **الأب الرئيس وليد موسى** قولُه:

أيّها الأحبّاء

في افتتاح السنة الجامعيّة، لا بدّ لنا من وقفة تجمع بين التاريخ والحاضر والمستقبل.

من يستعرض مراحل تطوّر هذه الجامعة، يتوجّب عليه أن يتوقّف عند قدر هذه الجامعة التاريخيّ المميّز: نشأت وسط الاضطرابات والمخاوف.

سنة ١٩٧٨: لبنان في صميم الأحداث المأساويّة، بدأنا بنواة الجامعة تحت عنوان: مركز اللويزة للتعليم العالي.

سنة ١٩٨٧: لبنان في ضياع وفوضى: نستحصل على رخصة التأسيس، ونؤسّس جامعة سيّدة اللويزة.

سنة ١٩٩٣: نضع الحجر الأساس لهذه الأبنية.

سنة ١٩٩٨: نبدأ الدراسة في هذا الحرم الجامعيّ.

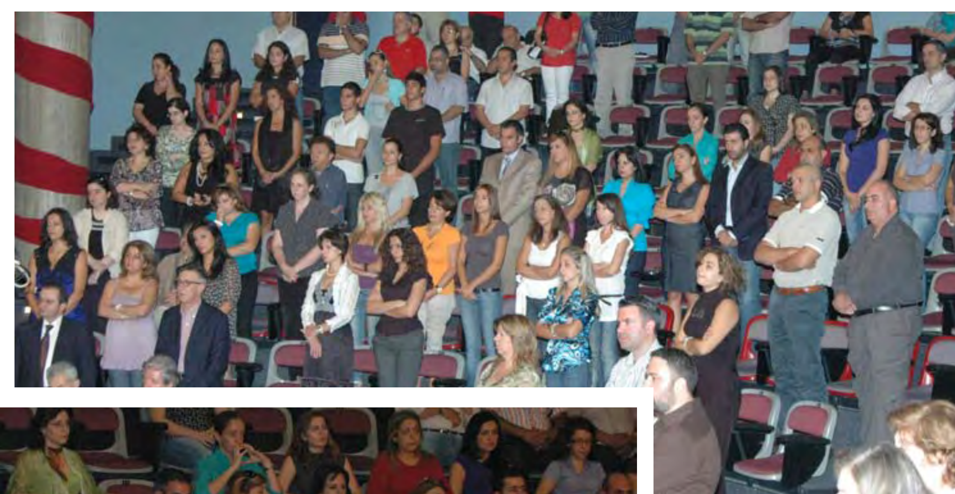
وسنة بعد سنة، تكبر الجامعة تزداد نموّا وتطوّرًا: الأبنية، البرامج، الاختصاصات، أعداد الطلاّب والأساتذة والموظّفين، التجهيزات...

ولا نزال نتابع. وكما تعلمون، البناء لم يتوقّف، وورش العمل تزداد، وطموحنا يستمرّ (هذه السنة ٦٥٠٠ طالب وطالبة: زيادة ٥٠٠ طالب، إضافة حوالى ٣٥ أستاذًا، أبنية جديدة، غرف للطلاّب، مواقف للسيّارات، بناء جديد قيد الإنشاء يساعد على حلّ مشكلة الصفوف وتوزّع الطلاّب...) وهذا كلّه نتيجة إصرار الرهبانيّة على تميّز الجامعة، وثمرة جهودكم المباركة، على كلّ الصعد، برعاية أمّنا مريم؛ فشكرًا لكم جميعًا.

أمّا اليوم، ورغم الضجيج الذي يسود الوطن، والرياح السوداء، والأجواء المشحونة، فإنّنا نؤمن بضرورة متابعة العمل والتطوّر: إنّه قدرُنا الحضاريّ، ولن يثنينا عن ذلك، تهديد أو خوف أو قلق.

صحيح أنّنا اجتزنا مرحلة الاختبار، ووصلنا إلى وضع اسم جامعتنا في مصافّ الجامعات المرموقة في لبنان والمنطقة، إلاّ أنّ إيماننا بدور لبنان الحضاريّ، يتعدّى ذلك إلى ضرورة







العمل الجدّيّ على نقاط ثلاث:

١. إطلاق ورش البناء التربويّ المتجدّد إلى جانب ورش البناء الحجريّ. لهذا، نحن مدعوّون هذه السنة، إلى إعادة النظر والعمل على وضع برامج جديدة واختصاصات متطوّرة وتعديل بعض الأنظمة في هيكليّة الجامعة ومجلس الأمناء وأوضاع الأساتذة والموظّفين، وتوجيه أنظارنا نحو الطلاّب من حيث السلوك (القيم الأخلاقيّة، القيادة الهادئة، اللباس المحتشم، احترام الكبار، الابتعاد من المخدّرات...) والاجتهاد والتربية على الثقافة والتنوّع والحوار واحترام الآخر.

٢. العمل على إبراز هويّة الجامعة الروحيّة والوطنيّة والأخلاقيّة. ولهذا أطرح السؤال على نفسي وعليكم: بماذا تتميّز جامعة سيّدة اللويزة؟ وهل هي بالفعل، مريميّة وكاثوليكيّة ولبنانيّة؟ ما هو دورنا في العمل على جلاء هذه الهويّة التي يمكن أن تميّزنا عن بقيّة الجامعات التي نحترم ونقدّر مستواها وشخصيّتها؟

٣. العمل على تحقيق ما يسمّى بالأسرة الجامعيّة الواحدة. فثمّةَ تتعالى بعض الأصوات التي تشكّك بوحدة العائلة في جامعتنا، وتتردّد كلمات من مثل: تفكّك واستقلاليّة وتفرّد وهيمنة... إنّني إذ أتفهّم هذه الكلمات، وأشاهد بعض مظاهرها، فإنّني أحذّر من الاستمرار فيها وأعود إلى ما ذكرته في خطب وكلمات سابقة: نحن بحاجة إلى أشخاص ينتمون إلى هذه الجامعة ويعملون من أجلها. لهذا، سأعمل معكم على تثبيت الروح الانسانيّة العائليّة في جامعتنا، وذلك بالابتعاد عن الأنا والشخصانيّة والتفرّد، وبالتربية على العمل الجماعيّ الصادق. وآمل من الجميع أن يتفهّموا ذلك، وأن يعملوا معي من أجل تحقيق هذه الرغبة، انسجامًا مع ما ورد في كلمة قداسة البابا بنديكتوس السادس عشر، وهو يفتتح السينودوس الحاليّ، إذ أعلن عنوانًا له هو: شركة وشهادة. وهذا ما نسعى إليه في جامعتنا، أن نكون شركة محبّة، إكليروسًا وعلمانيّين، وشهادة في خدمة الانسان.

أيّها الأحبّاء،

إذ أعلن عن هذا البرنامج، اليوم، فإنّني أؤكّد لكم أنّني سأبذل جهدي لأفي بهذه التعهّدات؛ معتمدًا على الرهبانيّة التي أنتمي اليها، وعلى تراثها العظيم؛ ومتعاونًا مع إخوتي الرهبان، ومعكم جميعًا.

ولهذا، فإنّني أصلّي كي تكون هذه السنة فاتحة خير على الجامعة وعليكم؛ لا تتشاءموا، ولا تخافوا- يقول يسوع. وكما نشأت هذه الجامعة وكبرت، وصَمَدت في ظلّ أوضاع أمنيّة وسياسيّة مؤسفة، فإنّنا سنتابع الطريق، متمنيًا لكم وللبنان الخيرَ والعافيةَ والتقدّم.

التّخرّجُ العشرون: ألفٌ للوطن..
ولن ينتصرَ جوازُ السفر على بطاقة الهوِّيّة.

- الرئيس الحريري: أنتم نفط لبنان الحقيقيّ.. النفط النادر: عقولكم، أفكاركم، طموحاتكم، أحلامكم.
- الأباتي أبو عبده: كونوا دائمًا مريميّين.
- الأب موسى: للسنة المقبلة التأهيل ثقافيًا واجتماعيًا.



«ألف خرّيج وخرّيجة، ألف عرس، ألف قبلة. مئة طالب وطالبة يحملون لون الجبل، بشوفه ودير القمر. مئة آتون من الشمال، من فرع برسا، مكلّلين بالأرز والزيتون. وثمانماية، من هنا، من أرض اللويزة وزوق مصبح. همُ جيل العلم والحرية والغضب الواعي».

هذا وجهٌ من وجوه احتفالِ التخرّج العشرين في جامعة سيّدة اللويزة، غروبَ الثّاني من تموّز 2010، كما جاء في ترحيب مدير العلاقات العامّة في الجامعة **الأستاذ سهيل مطر،** والذي توجّه إلى الشباب قائلاً:

«تفكّرون بالسفر؟

أجل، عندما يتحوّل الوطن إلى بارودة صيد أو كاتم صوت أو قفص، تحمل العصافير حقائبها وترحل.. تخاف على أجنحتها والأحلام أن تتكسّر.

لا، أيّها الأحبّاء، قدر العصافير أن تتشاجر مع الأقفاص. ولن ندع جواز السفر ينتصر على بطاقة الهوِّيّة...»

ولأنّ الاحتفالَ كان في حضور ضيف الشرف، رئيسِ مجلس الوزراء اللبنانيّ الأستاذ سعد الحريري، فقد شرّعَ **مطر** قصيدتَه على تحيّةٍ من إيمانٍ وأمنيات. قال:

إرفعْ جبينَك، سعدُ: ها هو الوطنُ ... طلاّبُنا اليومَ فيهم يفخرُ الزمنُ
وأنتَ، في عرسِهم، رمزُ أخوّتِهم ... يا سعدَ وجهٍ، عليه الحكمُ يُؤتَمَنُ
من شجرةِ الحبِّ جئتَ أنتَ منتسبًا ... كما لشجرةِ أرزٍ يُنسَبُ الغُصُنُ
إذا الجراحُ قست، واجهتَها رجلاً ... يا مجدَ جرحٍ عليه زهّرَ الحزنُ
لقد سكبنا بهذي الأرضِ أنفسَنا ... يا طيبَ أنفاسِ مَن في الأرض قد دُفِنوا
مذ كُوِّرتْ هذه الدنيا ونحن هنا ... وفوق هاماتِنا التاريخُ والدّمنُ
نقاومُ الذلّ لا نحني جبينُ عُلىً ... هذي دمانا، فلا بخلٌ ولا ثمنُ

***

من كلِّ لبنانَ، نحن اليومَ، في فرح ... عرسُ اللويزة هذه أم هي عَدَنُ؟
وأنتمُ اليوم، يا طلاّبَ أمّتِنا ... تغادرون، فلا حزنٌ ولا شجنُ
تهاجرون؟ كفى. بيروتُ تبقى لنا ... مدينةَ النبعِ، منها تستقي المدنُ
وجوهُكم حُفِرت، أسماؤكم نُقشت ... عيونُكم ببهاءِ الحبِّ تُفتَتَنُ
دقّوا القلوبَ، إسمعوا أصداءَ لهفتِها ... من يسكنِ القلبَ لم يُبدَلْ له سكنُ
هذي مدارجُكم ترقى ذرىً وعُلى ... هذي ملاعبُكم بالغنجِ تنسكنُ
كتبتُ أسماءَكم بالضوءِ مفخرةً ... هل غيرُ أسمائكم في المجدِ تَعلنُ
يا أصدقائي، باسمِ الأهلِ أعلنُها: ... كونوا الوفاءَ لمن ضحّوا لمن حسنوا
نحبُّكم حلماً، نهواكم أملاً ... لبنانُنا أنتمُ، لا العنفُ، لا الفتنُ
هذي شهاداتُكم بالحبِّ نكتبُها ... يا أرزُ وقّعْ هنا: حُيّيتَ يا وطنُ









وتحت عنوان: **أنتم مريميّون**، كانت دعوةٌ وصلاةٌ للرئيس العامّ للرهبانيّة المارونيّة المريميّة **الأباتي سمعان أبو عبده**، وفيها:

«فقال الملاك: لا تخافي يا مريم، فقد نلت حظوةً عند الله» (لو1/30).

«وإذ قال الملاك: يا مريم إنّ الله اصطفاك وطهّرك على نساء العالمين» (سورة آل عمران، آية 42).

نعم، ونحن أيضًا اصطفيناها واخترناها شفيعةً لنا، وعلى اسمها نجتمع اليوم في أحد بيوتاتها وتحت رعاية أمومتها؛

هي سيّدة العالمين ولموقعها في الإسلام والمسيحيّة إكرام خاصّ.

معكم اليوم أيّها الخرّيجون، ننظر إلى مريم الأمّ التي تجمعنا وتضمّنا إليها بحنانٍ وتواضع، ولها نعبّر عن شكرنا وامتناننا ومحبّتنا.

أجل، أشكروها، هي التي رافقتكم ورعتكم طَوالَ سني دراستكم، وكانت إلى جانبكم على مقاعد هذه الجامعة، وربّما لم تدروا بوجودها لأنّها لم تزعجْكم ولم تمنّنْكم، بل حمتكم وحرستكم وساعدتكم بصمتٍ وهدوءٍ، تمامًا كما تفعل كلّ أمّ صالحةٍ ومحبّةٍ...

إنّها أمّ الأمّهات، وسيّدة السيّدات، وأطهر الطاهرات. ولأنّها كذلك، اختارها الله لتكون أمًّا لابنه. وأمس اختارها اللبنانيّون، مسيحيّين ومسلمين، لتكون في أحلى أعيادهم، فيصبحَ عيد البشارة عيدًا وطنيًّا رسميًّا وتعبيرًا عن حالة طبيعيّة في وجدان الناس، تعكس رغبتهم في العيش الواحد المشترك بصورة تلقائيّة عفويّة.

وما أحلى أن يتحوّل عيد البشارة عيدًا للوحدة اللبنانيّة مع بقاء المسيحيِّ مسيحيًّا والمسلم مسلمًا!

نتوحّد لأجل المحبّة والسّلام.

نتوحّد في إكرام مريم من دون أن يكون اختلاف عقائدنا سببًا لخلافنا.

ولكم نودّ أن يكون عيد تخرّجكم اليوم صورةً عن عيد البشارة إيّاه؛ فبعد عناءٍ شديد بذلتموه في الدرس والبحث والتحصيل تأتي شهاداتكم اليوم لتبشّركم بالنجاح والانطلاق إلى ميادين الحياة.

لكن، قبل أن ترحلوا، إسمحوا لنا أيّها الخرّيجون، أن نتضامن مع أهلكم وأصدقائكم فنسلّمَكم أمانة أمّنا مريم العذراء.

وتأكّدوا من أنّ مريم ستظلّ معكم أينما حللتم، فاحملوها في قلوبكم، والتجئوا إليها في صعابكم، وتوحّدوا بها مع ذواتكم ومع سائر إخوتكم اللبنانيّين.

واعلموا أنّ شخصيّة مريم هي الحلّ الأقرب والأجدى للتقارب الانسانيّ والانفتاح الروحيّ





نتوحّد لأجل المحبّة والسّلام.
نتوحّد في إكرام مريم من دون أن يكون اختلاف عقائدنا سببًا لخلافنا.
ولكم نودّ أن يكون عيد تخرّجكم اليوم صورةً عن عيد البشارة إيّاه؛ فبعد عناءٍ شديد بذلتموه في الدرس والبحث والتحصيل تأتي شهاداتكم اليوم لتبشّركم بالنجاح والانطلاق إلى ميادين الحياة.
لكن، قبل أن ترحلوا، إسمحوا لنا أيّها الخرّيجون، أن نتضامن مع أهلكم وأصدقائكم فنسلّمَكم أمانة أمّنا مريم العذراء.
وتأكّدوا من أنّ مريم ستظلّ معكم أينما حللتم، فاحملوها في قلوبكم، والتجئوا إليها في صعابكم، وتوحّدوا بها مع ذواتكم ومع سائر إخوتكم اللبنانيّين.
واعلموا أنّ شخصيّة مريم هي الحلّ الأقرب والأجدى للتقارب الانسانيّ والانفتاح الروحيّ والتلاقي الوطنيّ والاجتماع الطوائفيّ.
وفي هذا اليوم العزيز العظيم، نعلن أنّ مريم هي بامتياز، سيّدة المحبّة والمصالحة والسلام، ونعلن تحت نظرها الأموميّ، وهي سيّدة هذا البيت، أنّها سيّدتنا جميعًا وأمّنا جميعًا.
أحبّائي!
مريم دائمًا معكم، تحميكم من كلّ تعثّر وسقوط، وتشدّد ضعفكم وتثبّت خطواتكم.
وها نحن ندعوها، لتضع في قلوبكم الرجاء والايمان والقدرة على الحبّ، لتكونوا دائمًا مريميّين متمايزين. آمين.

رئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، وبعد إشارته إلى علامات النجاح، طرح إشكاليّة الشأنين اللغويّ والثقافيّ في الجامعات، وأطلق شعارَ عملٍ للسنة المقبلة يقول بتأهيل الطلاّب ثقافيًا واجتماعيًا. قال:

نعود إلى التاريخ. كان ذلك في 24 شباط 1995. كنّا ننظّم مؤتمرًا في هذه الجامعة حول التربية في لبنان. وقف رجل كبير في افتتاح المؤتمر يقول: «التربية تتجاوز التعليم والتلقين، التربية رؤية للعالم وإحساسٌ به، ومسؤوليّة تجاهه، التربية هي تحوّل المعرفة إلى ثقافة اجتماعيّة، وثقافة خلقيّة، وثقافة سياسيّة. التربية هي الأساس الأوّل لدخول المستقبل»."
من كان هذا الرجل؟ كان دولة الرئيس الشهيد رفيق الحريري.
كان ذلك منذ خمس عشرة سنة.
اليوم، مع دولة الرئيس سعد الحريري، نقول: لقد حفظنا الأمثولة، وها هي جامعتنا تتجاوز، في منهجيّتها، التعليم والتلقين، وتحوّل المعرفة إلى ثقافة، وتدخل المستقبل برؤية واعية. وهي تنتظر من دولته التوجيهات والرؤى. فأهلاً بك، دولة الرئيس، لأوّل مرّة تزور جامعتنا، التي تعتزّ بحضوركم، وتتكرّم بلقاء هذه النخبة من الشعب اللبنانيّ العزيز.
أيّها الأصدقاء
على بطاقة الدعوة لهذا الاحتفال، ورد الرقم عشرون: إنّه الرقم الذي يرمز إلى عدد الدفعات التي تخرّجت من هذه الجامعة.
عشرون حفل تخرّج، وعشرون دفعة، وإذا دخلنا في التفاصيل، يتبيّن لنا أنّنا خرّجنا بحدود /15000/ طالب، من هذه الجامعة، هم مجدُ هذه الجامعة ورسلُها في المجتمع والعالم.
السؤال الذي نطرحه على أنفسنا، كمسؤولين وأساتذة في هذه الجامعة، هو التالي: هل حقّقنا، من خلال هؤلاء الخرّيجين، الأحلام التي ترعرعت في النفوس والعقول: أحلام الأهل، وأحلام الطلاّب أنفسهم، وأحلامنا نحن في الجامعة؟
أين كانت علامات النجاح؟ وأين برزت علامات الإحباط أو الضعف؟
برزت علامات النجاح، وأقولها بصدق، من خلال تحقيق بعض أهدافنا الجامعيّة، ولاسيّما هدف بناء مواطن صالح منتج مثقّف حرّ...، ومن خلال القيمة العلميّة— ولا أقول الكميّة- التي منحناها لطلاّبنا، ومن خلال القيمة الأخلاقيّة التي بنينا عليها سمعتنا الأكاديميّة والاجتماعيّة.
لقد وفّرنا لطلاّبنا المناخ التربويّ الايجابيّ، الذي يسمح لهم بقضاء سنوات الدراسة، في أجواء مريحة ومحترمة. فهذه الجامعة بمبانيها، بملاعبها، بمساحاتها الخضراء، بمختبراتها، بقاعاتها، بصفوفها... استطاعت أن تحتلّ مركزًا مرموقًا وراقيًا بين الجامعات اللبنانيّة، خدمةً لطلاّبها، وتأمينًا لحياة طالبيّة نموذجيّة. كما أنّنا، من خلال برامجنا ونوعيّة أساتذتنا وتجهيزاتنا العلميّة، استطعنا أن نمنح طلاّبنا الأهليّة والكفاءة للدخول الواثق في عالم العمل والمجتمع.
كما أنّنا واثقون أنّنا حاولنا، خلال هذه السنوات، أن نؤمّن لطلاّبنا مناخ الحريّة لا الفوضى، وفضاء الانفتاح في وجه التعصّب والأصوليّة العمياء.
ولكن، هل هذا يكفي؟
أجيب وبصراحة: لا. وضعنا الجامعيّ، في لبنان، كما في العالم، يمرّ، ربّما، بأزمة قاسية، يمكن اختصارها بالقول: هل طلاّبنا هم ضحيّة تمسّكنا بالقديم، وبالتراث، وبما تعلّمناه نحن، وبما تثقّفنا به، بينما هم يبحثون عن الجديد، وعن الحديث، وعن المعاصر، ولهم من التكنولوجيا الرقميّة، بكلّ أشكالها الالكترونيّة، ما يجعلهم في غربةٍ عن مجتمع أهلهم؟ هل هنالك مشكلة أو صراع أجيال؟
هل تمترس كلّ منّا أمام صخرة معتقداته، ما جعلنا في وضعٍ مأزوم؟





هذه الأسئلة هي التي يجب معالجتها، بحكمة ورويّة، لنصل، بالفعل، إلى حلول تؤدّي إلى إعادة التوازن إلى حياتنا الثقافيّة في الجامعات وإلى توليد تناغم وانسجام بين التراث والحداثة، بين القديم والجديد.

ليس بيننا من يُنكر أنّ معظم الطلاّب الذين نخرّج لا يتقنون اللغات، بصورة جيّدة وواثقة، لاسيّما اللغة العربيّة، ولا يقرأون الكتب، ولا يعملون في الأبحاث، ولا يحضرون المحاضرات، ولا يشاركون في الندوات، حتى أنّنا نشكو أحيانًا من واقع إهمالهم لواجباتهم البيتيّة والدينيّة والاجتماعيّة. لهذا نرى من الضرورة، جميعًا، أن نعمل، مع الأهل، مع وسائل الإعلام، مع السلطات الرسميّة المعنيّة، على تصويب المسيرة الثقافيّة والجامعيّة، كي لا يبقى طلاّبنا في غربة عن أهلهم وعن مجتمعهم، ما يدفعهم، أحيانًا، وللأسف، إلى تصرّفات وسلوكيّات معيبة أو مريضة.

إنّني، إذ أرفع الصوت، بهذا الشأن، أؤكّد أمامكم وأمام هؤلاء الخرّيجين الذين نحبّ، أنّ شعارنا للسنة القادمة سيكون: تأهيل الطلاّب ثقافيًا واجتماعيًا. الشهادة جميلة، ولكنّ الأجمل هو الشخصيّة الثقافيّة التي يحملها الطالب، وهي التي تؤهّله للعمل في الشأنين العامّ والخاصّ. وهذا ما أكّدتم عليه يا دولة الرئيس، خلال خطب كثيرة لكم، ولاسيّما إصراركم على اعتبار الحوار أساسًا للتربية.

وقد عبّرتم عن ذلك في خطبتكم في الأمم المتّحدة في 2010/5/27، وذلك بقولكم: «يبدأ الحوار من الاعتراف بالهويّات والخصوصيّات واحترام التعدّديّة الدينيّة والتنوّع الثقافيّ».

ونحن نعمل لكي تكون سياستنا التربويّة في هذه الجامعة قائمة على الانفتاح والتلاقي والعيش الواحد.

دولة الرئيس، أيّها الأصدقاء،

أصارحكم القول: الأبنية الحجريّة، وحدها، لا تصنع جامعة. نحن نسعى إلى بناء إنسانيّ داخليّ في جامعتنا، يتناغم مع التقدّم العالميّ الذي نشهده في الدول المتقدّمة. لهذا وضعنا أنفسنا على خطّ الحصول على اعتماد أميركيّ لجامعتنا Accreditation. وآمل أن ننتهي من هذا الموضوع في القريب العاجل، لنؤكّد للناس وللأهل وللطلاّب، أنّ مستوى هذه الجامعة هو بمستوى الجامعات الراقية عالميًا، وأنّ خرّيجيها مؤهّلون لدور رياديّ قياديّ في جميع الحقول، داخل إدارات الدولة وخارجها، في لبنان وفي العالم. وإنّنا، بالتعاون مع وزارة التربية والتعليم العالي ممثّلة بمعالي الدكتور حسن منيمنة، ومن خلال مشروع قانون جديد للتعليم العالي، سنسعى إلى ضمان الجودة وتحقيق أفضل السبل لدخول العولمة واستيعابها من دون خضوع أو إذلال.

فشكرًا لكم، أيّها الأهل. وكلّ التهاني لكم أيّها الخرّيجون والخرّيجات الأعزّاء. تذكّروا دائمًا أنّ في هذه الجامعة قلوبًا تخفق بمحبّتكم. لا تنسوا. وكونوا لأهلكم وللجامعة أوفياء.

أمّا أنتم، أيّها الأصدقاء، فإنّني أؤكّد لكم أنّ هذه الجامعة ستبقى مركزًا حضاريًا لكلّ بحث وحوار، ومنبرًا لتفاعل الحضارات، ولن تكون أبدًا ملحقًا هامشيًا لشوارع السياسة وأزقّتها.

أهلاً بكم. عشتم وعاش لبنان.

أمّا كلمة ضيف الشرف وخطيب الاحتفال، رئيس مجلس الوزراء **الأستاذ سعد الحريري**، فكانت مؤثّرةً بعفويّتها وصدقها وواقعيّتها ورسالتها الوطنيّة والسياسيّة المتواضعة الهادئة... قال:

أبدأ كلمتي بوعدٍ أقطعه، للخرّيجين والخرّيجات، بأنّني سوف أختصر قدر الإمكان! لأنّني، منذ لحظات قليلة، بينما كنت أتوجّه إلى هذا المنبر الذي شرّفتني جامعتكم بدعوتي لمخاطبتكم منه، عادت بي الذاكرة إلى 18 عامًا.. إلى حفل تخرّجي من الجامعة. في ذلك الحفل، كنت أنتظر، كما تنتظرون أنتم الآن، بلا شكّ وبفارغ الصّبر، أن ينهي الخطباء كلماتهم، لأعتلي المسرح، وأمسك بشهادتي الجامعيّة، وأبحث بالنظر عن عيون والدي الرئيس الشهيد رفيق الحريري وعن عيون الوالدة نازك، وأقول لهما من كلّ قلبي، وبكلّ جوارحي، وبكلّ ما أعطاني الله من صدق وحقيقة وتواضع: شكرًا.

واليوم أيضًا، أيّها الأحبّة، أقف بينكم،



أبحث...عن أبي، فأجده في كلّ أب من آبائكم مغمورًا بالفرح، وكأنّي به يقول: ها هي صفحة جديدة من حلمي تكتب وتتحقّق. أبناء وطني يتخرّجون جيلاً تلو الآخر. وإذا كان ممكنًا أن نختصر مشروع رفيق الحريري، فهذا الحفل هو المختصر المفيد: مشروع العلم والصروح التربويّة وشهادات التخرّج للعقول المتفوّقة المبدعة، عقول الشباب والشابّات التي جعلته يؤمن، بعد الله عزّ وجلّ، باللبنانيّين واللبنانيّات، وجعلته دائمًا وأبدًا، يتفاءل بلبنان.
أيّها الخرّيجون والخرّيجات، إن كلّ واحد وواحدة منكم اليوم في بداية رحلة طويلة، ستكون فيها أوقات حلوة، وأخرى مرّة؛ لكنّ أجمل ما في هذه الرحلة، هي هذه اللحظة الفريدة، التي لا تتكرّر: لحظة الانطلاق.
وفي هذه اللحظة الفريدة، أكاد أسمع كلّ واحد وواحدة منكم يسأل نفسه وأترابه: هل سأجد فرصة العمل المناسبة في لبنان أم أنّني سأضطرّ للهجرة؟ هل سأتمكّن يومًا من اقتناء سكنٍ لائق يمكنّني من بناء عائلة تعيش بكرامة؟ هل سأضطرّ دائمًا إلى سداد فاتورتين للكهرباء؟ وفاتورتين للماء؟ هل ستكون صحّتي وصحّة أولادي مضمونة؟ هل سأعيش أنا وأولادي في بيئة نظيفة؟ والأهمّ الأهمّ، هل سيكون أمني، أمني الشخصيّ والاجتماعي ..وأمن بلادي السياسيّ، مضمونًا؟ هل سيكون الاستقرار، الذي منه تنتج فرص العمل، وفرص تحسين الصحّة والتربية والاقتصاد عمومًا، هل سيكون هذا الاستقرار مضمونًا؟ صحيح أنّ العلم بما يخبّئه لنا جميعًا القدر هو عند الله عزّ وجلّ وحده، لكنّني أجيبكم بكلّ صدق وإخلاص، أنّ حكومتكم تبذل كلّ ما بوسعها، وهذا واجبنا والتزامنا تجاهكم، لضمان كلّ هذه المقوّمات لكم ولكلّ لبنانيّ ولبنانيّة في كلّ لبنان. هذا هو المعنى العميق لإدراجنا بند أولويّات المواطنين في صلب البيان الوزاريّ لحكومة الوحدة الوطنيّة. لأنّنا نريد لكم أن تثبتوا في أرضنا وأرضكم، أرض الوطن. ونريد لكم أن تطلقوا كلّ ما لديكم من علم وإبداع وطاقة خلاّقة ومن مبادرات وقدرات على العمل والإنتاج في اقتصاد لبنان، لا في أيّ اقتصاد غيره. والحديث الجاري في البلاد اليوم عن مشروع قانون النفط، وعن مشاريع التنقيب عن النفط، يدفعني إلى القول لكم، بكلّ فخر، أنّكم أنتم نفط لبنان الحقيقيّ. أنتم نفط لبنان الجاهز. عقولكم، أفكاركم، طموحاتكم، أحلامكم، هي نفطنا الذي لا ينضب. عبّروا عنها، عبّروا عن أنفسكم في مجتمعكم، في اقتصادكم، في أرض لبنان العظيمة، وسيرى العالم كلّه، من أيّ معدن نحن مصنوعون، وعن أيّ نفط نادر نتكلّم.
أيّها الأصدقاء،
إسمحوا لي أن أتوجّه بكلمة إلى أهلكم، إلى آباء وأمّهات الخرّيجين والخرّيجات هنا. أيّها الأهل الكرام، قد يشعر الكثير منكم اليوم أنّ أبناءكم وبناتكم المتخرّجين قد اكتمل لكلّ منهم جناحان: جناح التربية المنزليّة الصالحة وجناح التربية الجامعيّة العالية، وصار بإمكانهم أن يرفرفوا بهما بعيدًا عنكم إلى فضاء الحياة الأوسع. لكن صدّقوني، أيّها الأهل الأعزّاء، دوركم لا ينتهي هنا. فالخرّيجون والخرّيجات هم دائمًا بحاجة إليكم. وأنا، سعد الحريري، بحاجة إليكم، بحاجة إلى دعمكم في مشروع النهوض بلبنان، وتثبيت دوره في المنطقة وفي العالم، والأهمّ الأهمّ تثبيت الاستقرار فيه. فما نفع أن نضحّي ونسهر، أن نكدّ ونتعب، لنوفّر لأبنائنا وبناتنا الانتساب إلى أفضل المدارس ومن بعدها أفضل الجامعات، إذا لم نوفّر لهم أفضل الأوطان في الأرض الأفضل التي منحها الله، جلّ جلاله، لنا؟
أنا أعلم، لأنّني مررت بالسّن نفسه، أنّ أبناءكم وبناتكم، لا يجدون دائمًا الكلمات الكافية، والقبلات الكافية، والخطوات الكافية، ليقولوا لكم، كم هم مدينون لكم وممتنّون لأجل تضحياتكم وجهودكم التي أَوصلتهم إلى هذه اللحظة. اسمحوا لي نيابة عنهم، أن أقول لكم شكري وامتناني، والجميل الذي أحفظه في قلبي لكلّ واحدٍ وواحدةٍ منكم، بصفتي إبنًا كابد والداه لتربيته، وبصفتي شابًّا احتفل يومًا بتخرّجه، وبصفتي والدًا يفرح كلّ يوم بأبنائه. الجميل، أحفظه لكم، أيضًا، بصفتي مواطنًا من لبنان، لأنّكم صمدتم في أرضنا يوم عزّ الصّمود، لأنّكم آمنتم بوطننا يوم كفر به الكفر نفسه، لأنّكم تفاءلتم في ساعة الظّلمة، ولأنّكم جاهدتم وساهمتم، كلٌ على طريقته ومن موقعه، في مسيرة إعادة الإعمار، التي قادها الرئيس الشهيد رفيق الحريري. لولاكم، لولا كلّ واحدٍ وواحدةٍ منكم، ما كنّا هنا، في هذه اللحظة، في هذا الحفل، في هذا الوطن الذي يثير دهشة العالم وإعجابه. هذه هي أمثولة الصّمود في الأرض رغم الحروب والأزمات، أمثولة مواجهة التحدّيات والصعاب، أمثولة التّغلّب على الدّمار، أمثولة الحبّ والتّعلّق والتّمسّك بلبنان التي آمل أن يراها جميع الخرّيجين والخرّيجات اليوم. هذه الأمثولة هي التي تعطينا وتعطيكم أنتم الرّجاء والأمل، أنّ أبناءكم وبناتكم سيبقون في لبنان ويحافظون، ببقائهم هنا، على تركيبته الفريدة، وعلى





رسالته الفريدة بين الأمم، رسالة الاعتدال والعيش الواحد بين المسيحيّين والمسلمين، رسالة الحوار والعقل والعلم التي تجسّدها وتنشرها الصروح التّعليميّة، مثل هذه الجامعة، رسالة الحرّيات الفرديّة والعامّة الفكريّة والدينيّة والسياسيّة، هذه الرسالة التي نعلن مرّة جديدة، إلتزامنا بها، إلتزامنا المناصفة التّامة، التي جسّدها اتفاق الطائف، والتي تجعل لبنان دائمًا أبدًا، كما نريده أن يبقى، بإذن الله.
عشتم، عاشت جامعة اللّويزة، وعاش لبنان.

على الأثر، جرى التنويه بالمتفوّقين، ووزّعت الشهادات،.. ودائمًا في حضور دولة الرئيس الحريري وحتّى الثمالة.. حتّى سماعِه طليع الطلائع رمزي باسيل:



Ramzi Bassil – Computer & Communication Engineering 2010

We made it and this is our moment together!
Four years ago, I applied to four universities in Lebanon, the last of which was NDU. I was so confused with all the choices that I had that I was not able to decide by myself. My parents advised me to choose NDU due to its high academic standing and its encouraging scholarship programs. I chose Notre Dame University and that was by far the best decision I took in my life!
Although it is said that the university years are a time when every person is out on his own and that he or she should depend solely on his or her own efforts without expecting any external support, that was not the case for us at NDU. NDU is like a big family where you find a father, a mother, and a child. The role of the father in this family is taken up by our Administration and Faculty members, who set the rules and provide us with the appropriate academic package. The mother is portrayed by the Student Affairs Office, through which student-Administration interaction is rendered much smoother and most student problems are settled. And the child in this family is each and every NDU student. The student often receives guidance from his father and mother and though he may, at times, stray in the wrong direction, he knows that their care and attention will eventually steer him back on to the right path.
Our journey as NDU students was filled with obstacles and challenges but through each and every one of these obstacles we got a taste of the real journey of life and our response to adversity was tested. Whenever we succeeded there was always someone who congratulated us and encouraged us to aim even higher. Whenever we failed we were supported by

a group of elite individuals who explained the reasons for our failure and made sure that we would not stumble again. This long journey has made each one of us a better individual because on the one hand it taught us the true meaning of hard work and the rewards that come as a consequence, and on the other hand the bitterness of being sluggish and its unpleasant outcomes.

We can all be proud of the quality of the education we received at NDU, an education that is becoming more and more renowned and respected in Lebanon as well as abroad. During the past year alone, I was offered two great opportunities because of my academic standing at NDU. The first one was being chosen to participate in The Special Study Program organised by the Korean Embassy in Lebanon, in which one student from each Arab country had the opportunity to visit Korea and become acquainted with its unique tradition and culture while at the same time getting exposed to the cultures of different Arab countries through their student representatives. The second opportunity was participation in the Festival of Thinkers in Abu Dhabi along with another student from NDU. This conference featured several Nobel Laureates, honoured guests, and young thinkers, who met to share ideas that would drive economic success and help induce positive changes in society.

In addition to the premium education it offers, NDU also boasts a healthy and highly interactive student life. The numerous student clubs present at NDU provide students with a venue for youthful e xperience, immediate interaction and unforgettable moments of fun, laughter, learning and growth. In this respect, NDU understands the value of friendship and healthy relationships among students. With the help of NDU's atmosphere, all of us, the graduating class of 2010, know that success in life is not merely described by income, number of inventions, or fame. True success is achievements, positive influence on others, and most importantly the translation of love in every single step, among family, friends, acquaintances, and people yet to be encountered.

As a result of all this, we should always cherish the fact that we belonged, and still belong, to the NDU family. I hope that this belongingness continues throughout our lives as Alumni and that we never forget the times spent at NDU, both the pleasant and the difficult ones. I hope that we maintain the values of love, friendship, and hard work that we acquired here and carry them into our future lives and careers. Remember this: "The future is still unwritten and the pen is in our hands."

Now that our journey here has finished, the time has come to express our gratitude to those who helped us long this long road. Great thanks go to all our Faculty members, Chairs, and Deans, who made sure that we got the best out of our curricula, to our Administration and to every member of the NDU staff who made sure that we had the optimal conditions to mature and develop our skills within the NDU community. And finally to our fellow students who created a constructive learning atmosphere and helped each one of us to realise the best in him through positive competition.



Allow me to thank my parents, who have always been here with me, encouraging me and urging me to perform my best. Also Saint Joseph's School Cornet Chehwan, where I spent fifteen years and where I was given all the parameters that allowed me to excel here at NDU. In 2006 I was my school's valedictorian and now in 2010 I am NDU's valedictorian. The main reason for all that is God Almighty. He is the one who guided me, directed my footsteps all along, and blessed me in more ways than I can describe.

I would like to end my speech with an excerpt from my favourite poem: "I asked for all things that I might enjoy life, I was given life that I might enjoy all things."

Thank you NDU!

Congratulations, Class of 2010 and let us enjoy this night!

وها هنا ثَبتٌ بأسماءِ الخرّيجين والخرّيجات:



FACULTY OF ARCHITECTURE, ART AND DESIGN

MASTER OF ARTS

MASTER OF ARCH IN LANDSCAPE URBANISM

Academic Year 2009-2010

LEE FREDERICKS

DESIGN

Academic Year 2009-2010

SAHAR LATIF NASSAR

BACHELOR OF ARCHITECTURE

Academic Year 2009-2010

* GEORGES JOSEPH ABI FARAH
TAMER MELHEM AKIKI
ROBERT EMILE CHAHINE
CAMILIA JOSEPH CHAMIEH
ALAIN ANTONIOS DAOUD
* ELISSAR SAMIR DOUMIT
YEGHIA OHANNES EDOYAN
DAISY FARID EL JURDI
RAWAN MAJID EL KHOURY
**❖ NATHALIE GARABET HALADJIAN
SHADI JOSEPH HANNA
** NOELLE JACQUES HOMSY
RABIH GEBRAN KARAM
WASSIM NASRI NASR
DANNY JEAN NOUFAILY
MICHEL MICHEL YAZBECK

BACHELOR OF ARTS

FASHION DESIGN

Summer 2009

KRYSTLE GEORGE ASHKAR
** ADELE SAMI EL HELOU

Academic Year 2009-2010

MARIANNA GEORGOES AFTIM
SANAA CHARLES EL KHOURY AYOUB
MARIA SAMI EL-KHOURY
HIND ANTONIOS KEYROUZ
RAYAN SAAD RAIDI

GRAPHIC DESIGN

Summer 2009

PASCAL FOUAD ABBOUD
* HAGOP MIHRAN ASHKARIAN
* NOUR SIMON BEAINI
ELIANE FADY NAAMAN
MARIE-MURIEL GEORGES
SAROUFIM AZIZ

Academic Year 2009-2010

PIERRE ANTOINE ABI YOUNES
RAMI ADNAN AHMEDIEH
DARINE KENAAN AL HACHEM
CHRISTELLE MITRI ARAMOUNY
MICHELLE ANTOINE ARIDA
JOANNA SALAM ASSOUAD
* MARWA HASSAN BAWADY
NANCY TONY BOULOS
GEORGE SAMIR BOUSTANY
ELIE MAROUN BWARY
PAMELA PIERRE CARNABY
MARTEN-JOHN JOSEPH CHALLITA
LINA ANTOINE DAOU
CELINE HANNA DOUMIT
JAD CHARBEL EID
HADI MAURICE EL HAYEK
CHARBEL NAOUM EL KHOURY
ROUBA GHASSAN EL MURR
MICHEL EZZAT EL RASSI
** CHRISTINE MITRY ELIAS
* HABIB AHMED FAWAZ
ZEINA ADEL GHANEM
MARC CHARBEL GHARIOS
RANA ELIAS HADDAD EL
AMANDA TONI KADDISSI
AMANDA GABY KALLAS
* OLIVER GEORGES KATTAN
ALEXANDRA LABIB KHAIRALLAH
KAREN SALIM KHALIFE
RUDY FADY KHOUBIEH
** ELISE TOUFIC MAALOUF
NAWAR FOUAD NAHRA
JOELLE ANTOUN NEHME
* JESSY IBRAHIM NICOLAS
NOUR HASSAN OBEID
ELIAS MAURICE RACHED
NOUJAIM
GERARD ANTOINE RECHDAN
* JACK ANTOUN SAWMA AWAD
KAREN ANTOINE TOUTOUNJI

INTERIOR DESIGN

Summer 2009

SAMAR GHASSAN ABDUL BAKI

Academic Year 2009-2010

MARY ELLEN ASAD ABOUD
* NISRINE NABIH EL FADI
** SABINE GEORGES HARB
JULIEN JOSEPH KAMEL
NADINE FARES NAJEM
CRYSTEL RIZK SALAME
AMANDA SAMIR ZOUEIN

MUSIC-MUSIC EDUCATION

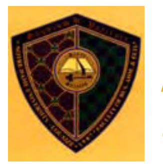
Academic Year 2009-2010

FERNANDO HABIB AFARA

MUSIC-MUSIMEDIALOGY

Academic Year 2009-2010

FADI ANTOINE EL JURDI
** ❖ ANTHONY ROBERT SAAB



FACULTY OF BUSINESS ADMINISTRATION & ECONOMICS

MASTER OF BUSINESS ADMINISTRATION

ECONOMICS

Summer 2009

FIRAS MOHAMED ALI HASSAN

FINANCE

Summer 2009

NASSIEM KHALIL GHANEM
LAYAL NAZIR HAWI
CAROL NABIL KANAGE

Academic Year 2009-2010

RANIA FOUAD ABDUL BAKI
JOYCE MOUNIR ABI KHALIL
PAUL HENRI ABOU EID
GEORGE FOUAD AL-HADDAD
JOE ANTOUN ANTOUN
STEPHANIE JOSEPH BOU EID
NOUHA TONI DAABOUL
DANY SAAD EL ALAM
MICHEL TANIOS EL CHANTIRY
GHANDY NAIM EL HAJJ
MYRIAM EDMOND KARAKY
SANDRA FADI KHALIL
HILDA ELIAS MAALOUF
MAYA IBRAHIM MOUSSA
MAKRAM ELIAS RAAD
MARIA BOUTROS WEHBE
SAMER JOSEPH ZGHEIB

IBRAHIM MANSOUR ABI KHALIL
** HIND CAMILLE ABI NADER
ELIE GEORGES ABOU ANTOUN
GRACIA BECHARA ABOU CHABKE
ABDALLAH EHSSAN ABOU HAMDAN
NASRI NASRI ABOU HASSAN
ELIE FADI ABOU SALEH
* JANET ELIE ADWAN
NEHME GEORGE AJAKA
JAD ELIAS AKIKI
JIHAD GERGES AL ALAM
ALINE EMILE AL RAYESS
* ELIE IBRAHIM AL SHAMY
* BASSEL MORSAL AL-ASHKAR
DOMINIC ANTOINE AL-HALBY
ROY ANTOINE AL-MAKARY
JOYCE EMILE AL-RAYESS
RAGHID KAMAL AOUN
** MIREILLE YAACOUB ARKAN
ELIE MAURICE ATALLAH
JOY GHASSAN AYDEH
* ELIANE GERGES AYOUB
ROLAND PIERRE AYOUB
MIRIAM RICHARD AZIZ
NOURA KAMAL AZZAM
NAYLA HANI AZZI
ELIAS ELIAS BAAKLINI
SERLY HAROUTIOUN BAJAKEZIAN
LEO MAURICE BARON MAZLOUMIAN
** JESSICA JOSEPH BASBOUS
GEORGE MOUSSA BASSIL
* MARIA MOUNIR BAYRAM
CYRIL FOUAD BITAR
JOSEPH KHALIL BITAR
JAD YOUSSEF BOU CHACRA
ELIE MILAD BOU FARAH
HADI KAHTAN BOU HAMDAN
BASSEL NASSIR BOU NASR EL DIN
HABIB ELIAS BOU NASSIF
GEORGETTE MAURICE BOU NEHME
RAMI NABIH BOU-FARAH
BAKHOS SARKIS BOU-FRANCIS
SERGE SAMIR BOUSTANY
SAMI TANIOS BTEICH
MFAWAD ANTOINE BU FADEL
STEPHANIE CHARBEL CHALOUHI
NADIM BASSEM CHAMAA
DIMA SAMI CHAMMAA
MIREILLE NADIM CHARTOUNY
LARA MICHEL CHATRINI
MAYA GHASSAN CHAYEB
JOELLE YOUSSEF CHEHADE
GERARD ABDO CHERFAN
JENNIFER ELIE CHIHA
PRINCY GEORGES CORBANE
DANIEL SAMIR DACCACHE
LAMA MAROUN DACCACHE
** NANCY MICHEL DAGHER
RITA KAMIL DAGHER
NANCY WADIH DAOU
ANTONIO GEORGES DERJANY
SAMER SALAMEH DIB
MOHAMAD IMAD KARAKIRA
MAYSSAM GABY KAZOUN
LARA GEORGES KHABBAZ
NISRINE FOUAD MANSOUR
RAMY ALFRED MATTA
CELINE ALAIN MATTAR
NICOLAS SAMIR NABHAN
JAD AYED NOWEISSER
TAREK BECHARA REAIDY
FADI SAID SAFI
CHEKRALLAH RIZKALLAH SALAMEH
DANY ELIAS SASSINE
HASAN RIAD YOUNESS

BACHELOR OF BUSINESS ADMINISTRATION

Summer 2009

ROGER EMILE ABDEL MASSIH
* NASRAT ELIAS ABI TAYEH
ISSAM ASSAAD AL ACHKAR
* ANTONIO BARBAR AL-MAARRAWI
ABDO ELIE CHEDID
EDWARD JOHNNY CREMONA
MIKE TONY EL BAAKLINI
SAMIR SAMIR EL KHOURY
EDMOND JORGE GEHA
MICHEL NAGIB GHOSN
LARA JOSEPH HARB
** MARIE JOSEPH JABBOUR
CHAMOUN NAJIB JREIJ
RALPH ELIE KADI
IMAD RACHID KAMEL
*** OLGA MOHAMMAD KANJ
ALAIN GEORGES KARAM
CHRISTIAN ELIAS KAWKABANI
* HIBA NADIM KHNEISSER MOUJAES
LEA GABY KIWAN
MICHEL IZIDORE MAATOUK
RAWAN ELIAS MALEK
HANI ABDUL MAJID MIKATI
NIKOLAS ELIE NAMMOUR
ANTONIO KHALIL RIAKOS LEBIANE
HASSAN GHANEM SAAB
ALAIN JEAN SAWAYA
ELIE JOSEPH SAWMA
ELIAS IBRAHIM SFEIR
TONI GEORGES SOUKI
JOHNNY JEAN TOUMA
MARIE ELIAS TOUMA
* HADI ADNAN YAGHI
CHARBEL BEDWENI ZEAITER
CARL CHARBEL ZOGHEIB

Academic Year 2009-2010

* JOELLE GABRIEL ABDEL-HAY
KARIM SAMI ABDELKHALEK
* MARC NASRI ABDELNOUR
*** PIA JOSEPH ABDO
** JOELLE ELIE ABI AAD

HUMAN RESOURCES MANAGEMENT

Summer 2009

JULIEN NAJI AOUN

Academic Year 2009-2010

LORRAINE ANTOINE ALAM

MANAGEMENT AND STRATEGY

Summer 2009

TILDA ANTOINE EL HAJJ

Academic Year 2009-2010

LOUISE LOUIS BOU RACHED
GHANA ELIAS BTEICH
NADA BOUTROS EL-GHOSSEIN
RANIA BECHARA GHOBEIRA
TALAR SARKIS KESHISHIAN
HADY ELIE RAHI
MARC GABY REAIDY
MONY SARKIS TRAD
JOSEPH HANNA YOUSSEF

MARKETING

Academic Year 2009-2010

ELIE MICHEL BAKHOS
NICOLE EDWARD DIAB

PROJECT & OPERATIONS MANAGEMENT

Academic Year 2009-2010

SANDRA CHARBEL AKIKI

MBA-MASTER OF SCIENCE IN INTERNATIONAL BUSINESS

BACHELOR OF BUSINESS ADMINISTRATION

Summer 2009

ALAIN FAYEZ AZAR
CAROL CHALLITTA YAACOUB

Academic Year 2009-2010

MARIA JEAN ABBOUD
SALLY EDOUARD ABOU JAOUDE
FADY SABEH ABOU SAAB
GEORGES YOUSSEF ABOU-MRAD
EDDY MILAD ASMAR
IHAB YASSINE AYOUBI
ZIAD MALEK AZZAM
JEAN ISSA BACHA
NICOLE NICOLAS BARDAWIL
BILAL ALI CHEAIB
MARIA MAROUN CHIDIAC
JOSEPH SALLOUM EL HAGE
IBRAHIM MOIN EL-AZAR
RAMI EMILE FAYAD
SEBOUH HAGOP GURUNLIAN
HUSSEIN ALI KAMMOUNY

ELSIE TONY SAYEGH
ELIE FAHIM SEMAAN ALAM
RABIH GEORGES STEPHAN
SLEIMAN CHARBEL TABET
DANIEL SOUHEIL TAKI EDDINE
RICHARD NAZIH TANNOUS
NABIL JIHAD TARABAY
HADI WAHIB TAWK
MARIA ANTOINE TAWK
JOYCE JAWAD TAYOUN
ELIE JEAN TOHME
ROUPEN KIRKOR VARTANIAN
HAMZA RAFIK YAHYA
JUDY SAMIR ZAGHBOUR
ALFRED HADY ZAKHOUR
* BECHARA BEDWANI ZEAITER
BUDDY YOUSSEF ZEAITER
BACHIR RAYMOND ZEIDAN
*** LIDA GHAZI ZEINEDDINE
MARWAN BOULOS ZIADEH
ADELE FOUAD ZORBA

BACHELOR OF HOTEL MANAGEMENT & TOURISM

Summer 2009

ELIAS NAJEM AKIKI
ADHAM ADNAN BITAR
MARIANNE FOUAD FARRAJ
TARA-MARIA KHALIL JABBOUR

Academic Year 2009-2010

WISSAM ABDALLAH ABDEL NOUR
*** ❖ JOELLE GEORGES ABI NAKHOUL
TAMER CHAWKI AL-ALI
HANNA WADIH AL-KHOURY
FADI EDGARD BARAKAT
SABINE BAKHOS BARMO
FEDORA GEORGE DIB
ELIE MILAD EID
* RINA GEORGE EL HADI
JAD FADY HACHEM
JAD GEORGE HEDWANE
MAHMOUD MOHAMED JAAFAR JAAFAR
NAYLA JOSEPH KARAM
DALIA SAMIR KHARBOUSH
JANA-MARIA ANTOINE KHOURY
ORNELLA JOSEPH LYM
ANTOINE JACK MANSOUR
NAY ELIAS MAYNE
EL CHIEKH MOHAMAD GHASSAN NAJM EDDINE
PATSY AMINE SABER
WAZEN JOSEPH SALAMEH
* JANET BOUTROS WEHBE

* MYRIAM SOLEIMAN KHAIRALLAH
SAMI ANIS KHALAF
RAMI JOSEPH KHALED
MOUSSA HANNA KHALIL
ELITE WALID KHATTAR
OMAR MARWAN KHATTAR
* ELIE VICTOR KHOUEIRI
RIDA ANTOINE KHOUEIRY
ABDALLAH ELIAS KHOURI
GEORGES ABDO KHOURY
MARIO JOSEPH KHOURY
ELIE NAJIB KORTBAWI
RODRIGUE ANTOINE KORTMOSSIAN
SEROUJ HAIK KOUJOUKIAN
PETRO CONSTANTIN KOUYOUMJI
MIREILLE ELIAS KOZHAYA
CHARBEL MAROUN KRAYMATI
* CHARBEL GERGES LEBBOS
EDDY HANNA LTEIF
RAMZI SAMIR MAALOUF
NADINE ELIE MADY
PERLA MICHEL MAKDESSI
GHASSAN GHALOUB MALKOUN
PASCALE WADIH MAROUN
HISHAM GERGES MATTA
* JOSIANE MITRI MIRAMO
ELIAS MAROUN MOUBARAK
GHAYS JALAL MOUJAES
MAHER HANNA MOUSSALLEM
VALERIE GEORGES MOUSSAWBAH
LARA FARES MRAD
JEAN YOUSSEF NACCACHE
SAMER SALIM NAJEM
* MARCELLE FARES NAJM
** HIBA AJWAD NASR
* JESSICA MICHEL NASSAR
ELIE ANTOUN NASSIF
** SARAH RAFIC NAWFAL
STEPHANIE GHASSAN NEHME
RAKAN FOUAD NOHRA
CHRISTELLE JOSEPH POSSIK
FAY MARY EMILE PRINCE
MICHEL NABIL RACHED NJEIM
MELISSA RAFIC RAHME
* RACHEL MILAD RAMMAN
JACQUES RICHARD RIACHY
GILBERT DANIEL RIZK
*** LOUBNA ADNAN ROUFAEIL RIZK
CHRISTINA ADNAN SAAD
NAKHIL SELMAN SAADEH
ZIAD ALBERT SAARTI
JOHNNY NAZIH SABA
STEPHANIE SOUHEIL SABELLA
CEDRIC DJOSSY SABER
CHARBEL YOUSSEF SADAKA
ROBIN CHARBEL SAGHBINI
ELIE CHALLITA SALAMEH
JAD PIERRE SALHAB
* CHARBEL GERYES SALLOUM
YARA ELIAS SAMAHA
ELIE ROGER SAYAH
CHRISTINE JAMIL SAYEGH

ELIAS BADOUI DOUAIHY
** MARGUERITE JEAN EID
* SANDRA JEAN EID
MICHELLE NASSIF EL ASMAR
SARA MAZHAR EL AYOUBI
STEPHANY AYOUB EL CHEIKH
RIHAB GEORGE EL CHIDIAC
LEILA JEAN EL DEEK
JEAN PHILIP EL DOUEIHI
GHASSAN AMINE EL FAHAL
MAJD RADWAN EL HADDAD
DEMIS JOSEPH EL HADY
ELIE GEORGE EL HAGE YOUSSEF
AKRAM PIERRE EL HAJJ
CHADY KISRA EL HAYBE
ELISE NAJI EL KALLASSY
WAEL ANTOINE EL KASSIS
DALILA ELIAS EL KEK
LEA ALBERT EL KHAOULI
ISSAM MICHEL EL KHOURY
ELIAS BOUTROS EL-AILY
TAREK ABDUL RHMAN EL-DUHAIBY
OUBAD BOULOS EL-GHARIB
NANCY RAYMOND EL-GHAWI
MIREILLE JOSEPH EL-KHAWLY
MICHEL BECHARA EL-MAALOULY
SARKIS JABBOUR EL-MARDINI
RITA JOSEPH EL-MORR
GHASSAN MOHSEN EL-ZEIN
KARIME BADIH ELIAS EID
RAMI FADY ESSEILY
* NOUR NABIL FARHAT
ANTOINE PIERRE FAYAD
BERNA WAJIH FAYAD
MAYSSA YOUSSEF FRANGIEH
* JEAN-MARC JEAN FRANJIAN
RABIH HIKMAT GHANEM
ARCHALOUIS RENE GHAZAL
HOUSSAM TALAAT GHOUSSAINY
LEA ABDO GHOUSSOUB
*** NADINE BERNADETTE ANTOINE HAGE EL
* NAY PIERRE HARFOUCHE
LYNN PAUL HAWA
JOHNNY TONI HOBEIKA
NANCY NABIL ISKANDAR
WEAM ABDALLAH ITANI
RITA BECHARA JABER
MICHELE YOUSSEF JBEILY
RACHEL YOUSSEF JBEILY
DIANE JAWAD JURDI
PATRICK ROBERT KABALAN SEIF
CALINE MOUNIR KAJOUNI
GEORGE ANTOINE KAKHIA
GEOFFREY JOSEPH KARAA
LOUIS ROGER KARAMEH
EVELINE MICHEL KASS-HANA
REWA NASER KASSAMANI
JOSEPH HANNA KERBAGE
*** NOUR NAJI KERBAJ
TALAR VARTAN KESAJKIAN
MARIA BECHARA KHABSA
** LINA NOUHAD KHADIJ



FACULTY OF ENGINEERING

BACHELOR OF ENGINEERING

CIVIL ENGINEERING

Summer 2009

GHASSAN IBRAHIM GERGES
** MICHEL WAJIH SAAD

Academic Year 2009-2010

* ELIE IBRAHIM ABD EL NOUR
TONY RAAD ABI RAAD
HANNA ANTOINE ABI SAAB
ZAKHIA WILLIAM BAZHOUNY
NABIL YOUSSEF BECHARA
KARIM GEORGES EL FEGHALI
* RAMI SALIM FAYEK
EDGARD ELIE GHANIME
TANIOS GEORGES HOUEISS
MICHEL JOHN ISSA
PHILIPPE SAMI SAADEH
KHALED AHMAD SABSABI
FREDDY JOSEPH SADDIK
* ANTOINE ELIAS SALAME
JOE ELIE SALAME
* RITA CHARBEL SASSINE

COMPUTER & COMMUNICATION ENGINEERING

Summer 2009

CHADY PHILIP ABI GHANEM
GEORGES AYOUB AOUN
JOE MILED DAOUD
SEMAAN JOSEPH EL KHAZEN
ALAIN CHARBEL SAMIR FARAH
CHRISTIAN EMILE FARAH
CHARBEL WASSIM GEAGEA
* RALPH MICHEL HAWI
JOSEPH HAYKAL HAYKAL
** JOE GERGES JABBOUR
RAWAD WAHIB SAID
ELIAS BECHARA TANIOS

Academic Year 2009-2010

*** AMANDA GHASSAN ABI NADER
JOHN ISSAM ABOU JAOUDEH
ELIE GHASSAN AL HASROUTI
** RAJI ZOUHEIR AL KAHLOUNI
ABDEL KAREEM KHALED AL SHIBLY MURAD
* SANDRA SAID AOUN
ELIE ABDO ATALLAH
***❖• RAMZI TALAL BASSIL
GERARD BECHARA BASSOUL
RASHAD OSMAT BOU HATOUM HAMADEH
RAWAD ASSAAD BOU MRAD
ADHAM WAJDI BOU-RESLAN
JOSEPH ANTONIOS BOUTROS
WISSAM SIMON BTEICH
* AMANI HATEM CHAABAN
GEORGES ELIAS CHOUCAIR
* TALINE ANTRANIG DEKERMENJIA
*** HIKMAT ANTOINE EL AJALTOUNI
** WISSAM TANIOS EL BEAINO
GISELE ABDO EL BOUEIZ
ROBERT MARIO EL CHABB
SALLOUM MICHEL EL-DAHDAAH

MICHEL NICOLAS FARES
HANNA YOUSSEF FRANGIEH
SEMAAN SARKIS GHALEB FRANGIEH
** ANTHONY RAYMOND HABRE
JEAN-PIERRE JOSEPH HADDAD
* KAMEL KAMIL HALABI
DOMINIC KRIKOR HALAJIAN
PHILIPPE GEORGES HARB
ELIE EMILE HAYEK
*** ROULA ANTOINE HOBEICA
GILBERT AIME JABRE
DANY SARKIS JREIJE FRANGIEH
NOURA AHMAD EZZAT KANAAN
FADI ISSAM KHATTAR
JOHNNY JEAN MAKHLOUF
* HALA FOUAD MAROUN
* TOUFIC FARES MEDAWAR
FADY GEORGES MIKHAEL TARABAY
JIHAD MITRI MIRAMO
DANY MAROUN MOUAWAD
SANDRA ATEF NAJEM
RALPH YOUSSEF NASSIF
** ABED EL RAHIM AHMAD SAAD
* MIREILLE MICHAEL SAADE
SERGE MICHEL SAKR EL HAGE
FARID MICHEL SAWAYA
GEORGES HANNA SLEIMAN
ELIAS MILAD YAMMINE
GEORGE JOSEPH YAMMINE
* RABIH SEMAAN YAMMINE

ELECTRICAL ENGINEERING

Summer 2009

JOSEPH SALIM DAGHER
ROLAND SAAD RENNO

Academic Year 2009-2010

AMER MALEK ABILLAMA
PAUL CHAMOUN ANTOUN
JEAN SAMIR BOU CHROUCH
ZIAD GEORGES CHALHOUB
*** MAHA TANIOS CHALLITA
MARC PAUL CHAMMAS
* CLAUDE BOUTROS DAHDAH
IMAD CHAWKI EL HAJJ
NIZAR BOULOS EL HAWAT
** NICOLAS RAFFOUL HARMOUCHE
RAMI FAYAD HIJAZ
* JEAN FAHED HINDY
RAMI KHALIL KEYROUZ
WALID CLOVIS KHALIFE
GEORGES PIERRE MATTA
HICHAM NAZIH MOUSSA DAOU
* ELIE HUSSEIN NASR
JAD ELIAS NASR
RAMI CHARBEL RAHAL
*** ELIE RAYMOND SAWMA
WALID KAMIL SHAMOUN
* TONY BOULOS YAMMINE
** BRUNO LOUIS ZEITOUN

MECHANICAL ENGINEERING

Summer 2009

RALPH ANTOINE DAOU
CHADI TONI EL HAGE
ELIE WALID EL KHOURY
SIMON BOUTROS KASSIS
* JOE YOUSSEF LATTOUF
* ANTOINE ELIE SAAD
NADIM ABDALLAH SAIFFEDDINE

Academic Year 2009-2010

ELIAS JEAN ABI RAAD
RALPH ANTOINE ABI TAYEH
* ABDALLAH IBRAHIM ABOU KASM
** ALAIN ADEL AL ACHKAR
SHEBEL JAMAL AL-SAGHBINI
** ELIE GEORGE AOUN
** MICHEL GEBRAEL AOUN
JOHNNY ATTIEH ASSAF
JAD CHARBEL AZAR
ROY MICHEL AZZAM
* ROY ELIAS BADER
MICHEL JEAN BEJJANI
HANY TONY BERKACHY
ANTHONY ELIE CHALHOUB
JEAN JOSEPH CHEMALY
RONY ELIE CHOUEIFATY
** SABEH WALID DAOU
* SABINE HICHAM EL HACHEM
WISSAM FARES EL HAJJ
ZIAD GEORGES EL KHOURY
CHARBEL GERGES EL-KHAZEN
ANTOINE AKL ELIAS
CAMILLE RIZK FARES
** KHAJAG LEVON GARABEDIAN
FRANCOIS FARID GHANEM
* JESSICA JEAN GHOBRIL
LAHOUD TONI HABCHI
*** CHARLES TOUFIC HADDAD
RABIH ANTOINE JENADRI
ELIE ANTOINE KARAM
JOSEPH MAROUN KARAM
** GEORGES CARLOS KHAIRALLAH
GHADI ANTOINE KHALIL
WILLIAM CHAHIN LTEIF
ROBERT MELHEM MOUSSALLEM
** JOY WILLIAM MTANIOUS-ABDALLAH
JOSEPH SOUHEIL NAJEM
MICHEL BECHARA REAIDI
RAMI GEORGES ROUHANA
*** ELIE RIZKALLAH SALAMEH
MAROUN ELIAS SAYAH

CHRISTY HAGOP JALEKIAN
MARIE-JOE MELHEM JAMOUS
ASBED SARKIS KARAKELIAN
SYLVIE MAURICE KASTOUN
JOELLE GEORGES KATTAN
GEORGE JACK KHALIL
JOSEPH ANTOINE KHALIL
LARA AHMAD KHODR
CHRISTY ANTOINE KHOURY
FADY FADY KHOURY
KRYSTEL HANY LOUTFALLAH
*** DOMINIQUE WALID MAALOUF
NANCY RAYMOND MAALOUF
HASAN HASSAN MAHMOUD
RIBAL SALAME MAHMOUD
DANY TOUFIC MANSOUR
GRACE GEORGES MASSAAD
JOSEPH ANTOINE MATAR
DANY MAURICE MATTA
LAMIA WAJDI MAZKOUR
NATHALIE YOUSSEF MERHI
CHADY PIERRE MOUBARAK
MYRIAM MOUSSALLEM MOUSSALLEM
JOY NABIL NAJM
LAURA EDWARD NASSOURA
CYNTHIA ELIAS NEHME
KARL MICHEL NJEIM
PAMELA RONY NJEIM
* RACHEL MICHEL OBEID
RABIH NABIL RAHAL
RAMY MILED RAJEH
REEM AMAL SAADE
* DOLLY SABA SABA
KHALIL MAHMOUD SABI AYON
CHARLES TANIOS SADAKA
SARAH ELIE SALIBA
JOANNA NABIL SALLOUM
PETER JOSEPH SARKIS
SARAH ANTOINE SFEIR
RAJI ANTOINE SUCCAR
GASSIA HRATCH VARAKIAN
STEPHANY NAIM YOUSSEF
JAD KAMAL ZAKHEM
JAD GEORGES ZEIDAN
LOUIS GERARD ZOUEIN

COMMUNICATION ARTS

Summer 2009

* ANTOINETTE SEMAAN FRANGIEH
WISSAM ISSAM SABRA
GEORGINA ANTHONY WATSON

Academic Year 2009-2010

LEA JOSEPH ABDEL SATER
NATALIE GHAZI YOUNAN
** BRENDA IARA NADER YOUNES
* CHARBEL TANIOS ZGHEIB
* PAULA KHATTAR ABOU JAOUDE
WALEED SABER AL-GHOMAISH
INGRID TOUFIC BAWAB
* NAJI JOSEPH BECHARA
ANTOINE ELIAS CHEMALY
TONY PIERRE ABI ASSAF
** MAVIS-MARIA EDWARD ADDINGTON
ELIE PIERRE BEAINI
JONATHAN SAMIR BOUSTANY
ELIANE GERGI DAHER
NADIM NABIL KHOURY EL
ELIANE SAMIR KMEID
RANA HANNA NAJJAR
WENDY ANTONIOS NAJM
* RUDY ROBERT NASR
RICHARD ROGER SAAD
** ALEXANDRA GEORGES SAADE
DORA HANNA SALIBY
DANIELLA DANIEL TAYAR

Academic Year 2009-2010

SARAH EDGARD ABDEL NOUR
** ELSA ANDRE ABI NADER
SABINE SIMON ABI RACHED
JOYCE MAURICE ABI-KHATTAR
* L'EMIRA LUCIE ANNE L'EMIR JOSEPH ABILLAMA
* NOUR SAMIR ABO SHAHLA HAMADEH
TAREK MICHEL ABOU ARBID
ETIENNE MICHEL ABOU CHACRA
SHADI NEEMATALLAH ABOU HAIDAR
SARAH WAHIB ABOU ZEID
HIBA KHALIL ACHKAR
TONY ELIAS AFTEEM
ANTOINE GEORGES AKIKI
SHIRINE KARIM AL ASHKAR
MANAL GHATTAS AL RAHI
ANTOINE ANDRE AL-AMMAR
JESSICA GEORGES ANTOUN
BASSAM MAROUN AOUN
* JOHNNY WALID ASSI
CHRISTIAN GEORGES ATALLAH
MARIA MAURICE AWAD
MARC NABIL AZZI
YARA EDGARD BAAKLINI
ROULA JOSEPH BALLAN
HANI ELIAS BARAKAT
* RACHELLE BASSEM BARAKAT
LEA JACK BASSIL
JOSEPH ISKANDAR BOULOS
JOCELYNE NADIM BOUTROS
ELIAS KAMIL CHAAYA
* ALINE PAUL EL-KHOURY
SAMAR ELIA FAKHOURY
CHRISTELLE NAHEMTALLAH GHANEM ELBON
ROLAND ANTOINE GHOSN CHELALA
MICHEL JOY HADDAD
THEODORA RAYMOND HADDAD
SHADI WALID HAJJAR
ZEINA GEORGES HALABI
LINA NAJIB HANNA
SARAH GHASSAN HARDAN
JOELLE HABIB HAWA
JOYCE RAYMOND HELOU
BEATRICE ELIE JABBOUR
NADER GHAZI JAFFAL
BECHARA NADER SFEIR
FRANCOIS GEBRAEL SFEIR
GEORGES NICOLAS SFEIR
ARZ ANWAR TAWK
ELIA COSTA YASMINE
ELIE GEORGES ZAYAT



FACULTY OF HUMANITIES

MASTER OF ARTS

EDUCATION

Summer 2009

ROLA FOUAD DAGHER

Academic Year 2009-2010

PASCALE SAMIR HAJAL
VERA GERGESSE JABBOUR
NOHA ELIAS KAMEL

ENGLISH

Summer 2009

LINA ANTOINE RAHME

Academic Year 2009-2010

CELINE SAMIR EID
STEPHANIE ESTEPHAN FARAH

MEDIA STUDIES

Academic Year 2009-2010

TAGHRID MAROUN DACCACHE
SERGE ELIAS FADEL
DALIA ELIAS FARAH
LARA HANNA HADDAD
RAYAN JIHAD HAJJ AHMAD
MIRIAM GABY KAZOUN
NICOLAS GEORGE KHABBAZ
SAM RACHID LAHOUD
LARA KAISSAR MAALOUF
SIMON YOUSSEF MHANNA
LUCIE GEORGES MOUSSA
LAYAL MILED RAJHA

TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

Academic Year 2009-2010

DOLLY MAROUN EL CHBEIR
MARIE LOUISE JEAN RAMY

BACHELOR OF ARTS

ADVERTISING AND MARKETING

Summer 2009

DOUNIA ADEL ABBAS
PATRICIA MAKRAM ABBOUD

BIOLOGY

Summer 2009

*	CELINA SALIM ASSAAD
***	STEPHANIE ATEF EID

Academic Year 2009-2010

**	HANEEN JIHAD ABOU ZIKI
	AMANI FADI AL ALI
*	CHADIA MICKAEL AYOUB
*	RITA ANTOINE BERKACHY
*	IVONE ANTOUN DIBO
	PAMELA GEORGES MANSOUR
*	MONTAHA KHALDOUN NASRALLAH
	SASSINE NABIL ONEISSY

BUSINESS COMPUTING

Summer 2009

ZIAD SAMI ABOU HARFOUSH
KHALIL KHALIL AL KHOURY
ANTOINE YOUSSEF KARAM
ROMEO ANTOINE SAID
ELIANE ANTOINE SALAMEH EL HADDAD

Academic Year 2009-2010

JAD GERIES AL YOUSSEF
SERGE JEAN BASILE
RAGHEB FOUAD BOU HAMDAN
BOUDI ABDEL GHANI JAMIL DIMACHKIEH
FIRAS MILED EL-KHOURY
GHINWA FARES GHANDOUR
SAMI BECHARA IBRAHIM
MICHEL ANTOINE JOUMAA
RABIH CHARBEL KODEISSY
RABIE NAZEM MALAEB
GEORGE HANNA MATAR
WILLIAM NADRA MOUTRAN
CHARBEL ASSAD NASR
NICOLAS ELIAS ORDAKJI
FADY SAMIR RIMAN
GEORGES JOSEPH SALAMEH
NADER SOBHI SARIEDDINE
RALPH PIERRE YOUNES
CHARBEL MILED YOUSSEF

CHEMISTRY

Academic Year 2009-2010

EDGARD SAMI HAJJAR
HADY SALIM SABA

COMPUTER SCIENCE

Summer 2009

ANTONIOS ELIE ABDALLAH
KHALED RAFIK CHEDID
YOUSSEF DIBE HASSROUTY
RANA ABDO SAWMA

Academic Year 2009-2010

SAMAH RAFIK ABOU FARAJ
PATRICK MICHEL AMER
GEORGE GABRIEL AOUN

Academic Year 2009-2010

***	PHILIPPE NABIL BOU MALHAM
**	LINDA MILAD DEEB
**	KRISTELLE TONI MALLAH
	AMANDA RAYMOND MALLAT
	SANDRA IZZAT RASHED
	CHARBEL HENRI YAZBECK
	HANI SOLLY ZARRINI

TRANSLATION & INTERPRETERSHIP

Summer 2009

MARWA AHMAD AHMAD



FACULTY OF NATURAL AND APPLIED SCIENCES

MASTER OF SCIENCE

COMPUTER SCIENCE

Summer 2009

MAHMOUD MAHMOUD DAHER

Academic Year 2009-2010

CHARBEL FOUAD BOU GHOSN
WISSAM FOUAD KHATER
ALAN GABRIEL RECHDAN
NAJI SULEYMAN SABBAGH
ZIAD HANNA TAWK

MATHEMATICS

Academic Year 2009-2010

SAMER KHALIL ASSAF
ELIE SAMI HAJJAR EL
WISSAM MOHAMMAD KASSAB
SALWA SAMIR MANSOUR
NATACHA GHOSN MOURANI
YOUSSEF LOUIS NAMMOUR

BACHELOR OF SCIENCE

ACTUARIAL SCIENCE AND INSURANCE

Academic Year 2009-2010

	MELISSA JOSEPH CHALLITA
	MARC CHARBEL CHBAT
***	CYNTHIA MICHEL EDDE
	KAREN GABY GHOLAM
	JULES BECHARA JABBOUR
	MARIE THERESE BOUTROS LAMAK
	LOUIS SAMIR MAYO
	LEAH FOUAD CHOUEIRY
** *❖	JULNAR JIHAD DOUEIK
	BEATRICE GEORGE DOUMIT
	PETRA NOHAD EL ADEM
	MARIANE GEORGES EL AZZI
	NATHALIE CHARBEL EL BOUSTANY
	RAFKA MAROUN EL KAI
**	RANIA JOSEPH EL KHOURY
	SALI IBRAHIM EL SABAH
	MAZEN NAIM EL- HAGE
**	CHRISTELLE YOUSSEF GEMAYEL
	PETER ETIENNE GHABI
	MARK ANTOINE GHALEB NAJJAR
	MARIE SAMIR HABIB
	ABDO RAYMOND HADDAD
	IVANA ANTOINE HINDI
	LEA FADI HUSSEINY
	MARIANE HASSIB IBRAHIM
*	IMANE FRANCIS KALLASSY
	SAMI MOHAMMED KOUJAN
	CHRISTELE MICHEL MAKHOUL
	ANTHONY YOUSSEF NAJEM
	DALA HANNA NAJJAR
	ANGIE MANSOUR OBEID
	ELIE DAOUD SALIBA
	GREGORY JOSEPH SARAFIAN
	ELIE GEORGES SKAFF
	CHRISTELLE WALID TABET
	REEM BASSAM TAKIEDDINE
***	SIRENE KHALIL WATCHI HAYEK
	NATALIE GHAZI YOUNAN
**	BRENDA IARA NADER YOUNES
*	CHARBEL TANIOS ZGHEIB

EDUCATION

Academic Year 2009-2010

	PRISCILLA MICHEL KOUEIK
*	LAYAL NAHMATALLAH SARROUF

ENGLISH

Summer 2009

CELINE GERGES BOU CHEDID

Academic Year 2009-2010

	JAMAL MICHEL HANNA
*	DMITRIY ELIE KOKAREV
*	NAJLA-MARIA RIAD MOUFARRIJ
*	NICOLE JOLISS KNOWN NAZI RICHA
*	NATALIE KRIKOR SERMANOUKIAN

PHYSICAL EDUCATION & SPORT

Academic Year 2009-2010

*	SHIRLEY MICHEL AL CHAB MAJDALANI
*	PATRICIA GEORGES BARAKAT-EL ASMAR
	NATHALIE LOUTFALLAH BERBERI

PSYCHOLOGY

Summer 2009

SARAH-JOE JOSEPH CHAMATE



FACULTY OF POLITICAL SC. PUBLIC ADMIN. & DIPLOMACY

MASTER OF ARTS

INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY

Academic Year 2009-2010

ZIAD CHAFIC CHEMALI

INTERNATIONAL LAW

Academic Year 2009-2010

KARIM ISMAT RISHANI

PUBLIC ADMINISTRATION

Academic Year 2009-2010

HAMID ALI ABDULLA

BACHELOR OF ARTS

INTERNATIONAL AFFAIRS & DIPLOMACY

Summer 2009

RAWAA BOURHAN ABOU SHAAR
KARIM ANTOINE ZWEIN

Academic Year 2009-2010

MICHEL ATEF ABDEL MASSIH
HADY GERIES BISHARA
** MICHELE DOUMIT FENIANOS
** LEA SAMIR ELIE FRANCIS
RHEA BOUTROS HOUKAYEM
EDMOND TAREK ISSAM KEIRALLAH
RAYA ANTOINE MADI
** * ❖ NADINE GEORGES MAZRAANI
** ABIR GEORGES MIKHAEL
ELIAS MARTIN MOUAWAD
MARIE-CHRISTINE ANTOINE NAAMAN
MARITTA ZOHROB SISLIAN
*** YARA YOUSSEF ZOGHEIB

POLITICAL SCIENCE

Summer 2009

JAD EMILE RICHA GHOSN

Academic Year 2009-2010

* OLINA KRYSTEL AMINE EL-HAGE

PUBLIC ADMINISTRATION

Academic Year 2009-2010

ELIE EDMOND AOUAD
JOSEPH ROBERT BAROUD
PAOLO YOUSSEF NEMR FARHAT GHAZAL

NUTRITION & DIETETICS

Summer 2009

** RANA JOY EL SAID

Academic Year 2009-2010

PASCALE IBRAHIM ABOU DIWAN
JESSICA NAJIB ABOU HARB
SANDY PAUL ABOU KHALIL
* RIMA FARES ALLOUD
** RANDA RAMEZ BOU RAAD
PETRA PAUL BOU YOUNAN
** HIBA SALAH BTEDDINI
VANESSA MILAD CHIHAN
** CHRISTELE TANIOS DACCACHE
MIRA IBRAHIM DAHER
MIRNA EID EL-MURR
SANDRA RAFIC ESBER
* LARA LAHOUD FADDOUL
** JIHANE JOSEPH FRANGIEH
CHRISTELLE SABA FREIFER
LAMA SAMAH GHARZEDDIEN
* RITA MICHEL HELOU
FABIENNE ANTOINE HOWAYEK
TAMARA WALID IBRAHIM
* MATHILDA GERGES JABBOUR
MARLENE SALIM JARROUJ
** SARAH ELIAS KFOURY
** ❖ JOELLE GEORGES KHAIRALLAH
CHRISTINA ABDALLAH KHOURY
MARIA ROBERT KRIKORIAN
MYRIAM IBRAHIM LOUKIEH
RANA RAMEZ MAHFOUZ
* MAYCE HANNA MAKHLOUTA
RITA HANNA MAKSOUD
* MAGALI HIKMAT MANSOUR
LAETITIA MASSAAD MASSAAD
ELLY FADI MATTAR
CHRISTELLE BASSAM NASSIF
* VANESSA GEORGES RAHMOUCHE
ELSA MICHEL SAWAYA
RIHAM KAZEM SHAMSEDDIN
SANAN ZAREH TOVMASSIAN
MAYSAM RAMZI YOUSSEF
SAMI MILAD ATALLAH
RANY GERIES BISHARA
DAVID ELIAS DACCACHE
SANDY FAHIM EL ZAYED
NESHAN OHAN EMMIYAN
BERNARD ANTONIOS FARAH
AMINE ADEL HARFOUCHE
ELIE LOUIS HARFOUCHE
JOSEPH ANTONIOS KEYROUZ
GHOSN CHARBEL KHALIL
GILBERT HANNA KHAYAT
RONY SAMI KHOUEIRY
ELIE GEORGE KHOURY
CARLO GEORGE MAHFOUZ
HENRY HABIB MELKI
JONATHAN ROMULUS MOORKAAR
SALEM ANTOINE MOUAWAD
LOUIS EDWARD MOUGANIE
TAYMOUR MOHAMMAD RAFEH
RAMI TONY SAADE
ROY HANNA SAADE
WISSAM YOUSSEF SALAMEH
SHADI MOHAMAD SKAF
CHARBEL JAMIL WAKED
RAMI NAJI ZEBIAN

GEOGRAPHICAL INFORMATION SYSTEMS

Academic Year 2009-2010

ELIE CHAFIC OTAYEK

MATHEMATICS

Summer 2009

YOUSSEF GEORGES BOU ABDO
** * ❖ OLA BASSAM SHAMI NASR

Academic Year 2009-2010

YASMEEN HATEM ABDEL BAKI



FACULTY OF NURSING AND HEALTH SCIENCES

BACHELOR OF SCIENCE

MEDICAL LABORATORY TECHNOLOGY

Summer 2009

SAMAH SAID SARIEDDINE

Academic Year 2009-2010

SAYDE WADIH AL-KHOURY
KAMAL WALID FAKHREEDDINE
* JOELLE GHASSAN JERJESS
CAROLINE ALBERT SLIM
* ELIZABETH ALBERT SLIM
MICHEL ADEL WAKIM

من حَصاد العمل الرعويّ الجامعيّ

المخيّم الصيفيّ



إعتاد العمل الرعويّ الجامعيّ على إقامة «مخيّم صيفيّ» كلّ سنة. وقد وقع هذه السّنة في ٢٠-٢١-٢٢ حزيران ٢٠١٠، في مركز مار يوسف — شبروح، تحت عنوان: «إنموا في النّعمة» (٢ بط ٣/١٨). في هذا المخيّم عاش الطلاّب المشاركون خبرة مميّزة جدًّا، خلال ثلاثة أيّام، وشاركوا في العديد من النّشطات من رياضةٍ روحيّة وأخرى ترفيهيّة.

Recruitment Day



بَنَت شبيبة العمل الرعويّ الجامعيّ «stand» للـ «Recruitment day»، هو كناية عن محطّة إشارات سير، أُعطي معنىً روحيّ لكلّ واحدة منها بآيةٍ من الإنجيل. كما وُزِّعت الأناجيل على الأعضاء الجُدد.

كفيفان

بدعوةٍ من العمل الرعويّ الجامعيّ في لبنان، شارك شبّاننا وشابّاتنا في الاحتفال بالقدّاس الإلهيّ، الأربعاء ٣٠ حزيران ٢٠١٠، بمناسبة تطويب الأخ أسطفان نعمة.

رحلة إلى رأس بعلبك



في ١٢ آب ٢٠١٠، لبّى العمل الرّعويّ الجامعيّ دعوة أحد أعضائه «جوزيف نيكولا» لقضاء نهار في بيته في رأس بعلبك، حيث أحتُفل بالقدّاس الإلهيّ وبغداء قرويّ سخيّ.

القدّاس الإلهيّ في بدء السنة الدراسيّة



تولّى العمل الرّعويّ الجامعيّ NDU تنظيم القدّاس الإلهيّ في قاعة عصام فارس، نهار الجمعة ١٥ تشرين الأوّل الساعة ١٢،٣٠ ظهرًا، إيذانًا ببدء السنة الدراسيّة.

سهرة المتخرّجين

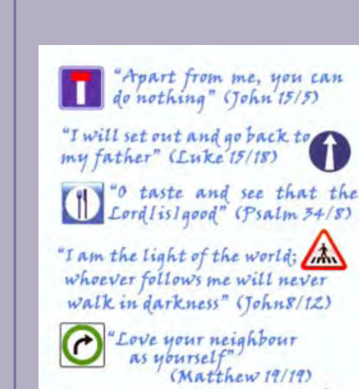




دعا العمل الرعويّ الجامعيّ أعضاءه الذين تخرّجوا هذه السنة، إلى عشاءٍ سنويّ تقليديّ، في ٢٣ تمّوز ٢٠١٠، والذي تخلّله عرض فيلم وداعيّ عن المتخرّجين، وتوزيع تذكارات.

رحلة إلى حملايا

بعد ظهر يوم الجمعة ١٥ تشرين الأوّل، أقام العمل الرعويّ الجامعيّ رحلةً إلى ضيعة حملايا، حيث زاروا البيت الوالديّ للقدّيسة رفقا والتلّة التي ستُبنى كنيستها عليها. ثمّ كان عشاء في منـزل «منال شدياق»، إحدى الصّديقات، حيث فاجأت الشبية الأب فادي بو شبل بالاحتفال بعيد ميلاده.



What's Pastoral Work?

- A place to interact among students & share ideas, thoughts and opinions
- A way to live our Christian faith in the university

The Aim of Pastoral Work

- To be a sign of Jesus' presence in the university through the work of the Holy Spirit
- Being creative and using faith to challenge our modern world
- Loving, caring and helping each other in the name of Jesus

Meet us, every Monday and Thursday during lunch breaks in room B247

Call us:
Rola Ghorra 03-657404
Tony Akiki 70-854346

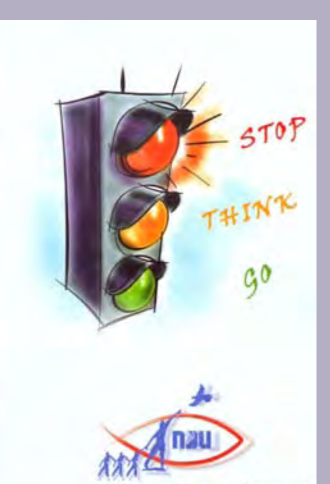
Or Visit:
Father Fadi Bou Chebl
University Chaplain General

Room #B 207

email: pastoral.ndu@gmail.com

facebook: Pastoral Work NDU

"For where two or three come together in my name, there am I with them." (Mat 18/20)





د. لويس حبيقة

الأمن الاقتصاديّ أولويّة وطنيّة وقوميّة

يعاني لبنان كثيرًا منذ سنة ١٩٧٥ من التقلّبات الاقتصاديّة الكبيرة ذات المصادر السياسيّة والأمنيّة. خسر اللبنانيّون كثيرًا من الحروب العديدة التي وقعت على أرضهم ودمّرت المادّة والبشر. حتّى في ظروف السلم أو الهدنة، لا يمكن الاطمئنان إلى المستقبل الاقتصاديّ في ظلّ التحدّيات السياسيّة الاقليميّة التي يمكن أن تتحوّل بين ساعة وأخرى إلى أمنيّة. من الصعب أيضًا تحقيق توازنات اقتصاديّة داخليّة مستقرّة إذا لم تَحُزْ على ثقة الشعب التي يعبّر عنها بحريّة في الانتخابات. من المفروض أن تكون هنالك توازنات بين الحقوق والواجبات، بحيث لا تطغى الواحدة على الأخرى، ضمانًا للاستمراريّة والاستقرار. لا يمكن حماية الاقتصاد عبر الانفاق الأمنيّ والعسكريّ وحده، بل تجب حماية المنافسة القطاعيّة الضروريّة للنموّ وللحفاظ على حقوق المواطن والمستهلك كما الشركات الصغيرة والمتوسّطة. يجب تطوير القطاع الزراعيّ الذي يبقي الانسان في أرضه ولا يدفعه إلى الانتقال إلى المدن أو إلى الهجرة. لا يمكن بناء الاقتصاد اللبنانيّ عبر القطاع الماليّ وحده، بل يجب تطوير القطاعات الأخرى وفي مقدّمها الزراعة.

يعاني الاقتصاد الدوليّ من مشاكل كبيرة وخطيرة تسعى دول العشرين G٢٠ إلى بحثها ومحاولة إيجاد حلول دائمة لها منعًا للتكرار. فالأزمة الماليّة الدوليّة مستمرّة، ووصلت إلى عمق القارّة الأوروبيّة، ويمكن أن تتجدّد عبر القطاع العقاريّ الأميركيّ الذي كان أصل المشكلة. لا يمكن للبنان أن يتجاهل التجربة اليونانيّة التي تمتدّ الآن أيضًا إلى إسبانيا، وربّما إلى دول عديدة غيرها. لذا، وقّعت اليونان منذ أشهر مع صندوق النقد ومؤسّسات الوحدة الأوروبيّة اتفاقيّة مهمّة شاملة وقاسية للانقاذ الاقتصاديّ، لكنّها لن تطبّق بنجاح إذا لم يرض عنها الشعب اليونانيّ. فالحكومة، أيّ حكومة، تبقى مسؤولة أمام شعبها، ومن واجبها الالتزام بمصالح مواطنيها أيّا تكن اتجاهاتهم السياسيّة.

من ناحية أخرى، إنّ تلبية مطالب المواطنين تتطلّب وجود موارد ماليّة وبشريّة كافية بحيث لا يتزعزع الاستقرار الماليّ. هنالك دائمًا نزاع بين ما يطلبه المواطن وما تستطيع الدولة تحقيقه. تهدف الانتخابات إلى تحديد الخيارات الممكن تنفيذها، والتي يعبّر عنها المقترعون عبر أنظمة انتخابيّة مختلفة. لا شكّ أنّ للنظام الانتخابيّ تأثيرًا كبيرًا على نوعيّة وخصائص النتائج.

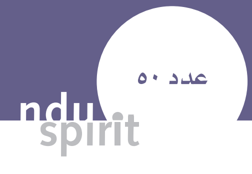
العلوم الاقتصاديّة والديموقراطيّة

يتحقّق التقدّم في العلوم الاقتصاديّة عبر تطوّر النظريّات كما التقنيّات التطبيقيّة. من الصعب في الاقتصاد، وخلافًا للعلوم الطبيعيّة، حسم النقاش بسرعة بين النظريّ والعمليّ. يقول أحد الاقتصاديّين الكبار إنّ في الاقتصاد «تبقى الأسئلة نفسها» من سنة إلى أخرى، لكنّ الأجوبة تختلف. قال «ونستون تشيرشل Churchill» إنّه يمكن الاتّكال على الأميركيّين من ناحية تطبيق السياسات الاقتصاديّة الصحيحة، لكن بعد أن يختبروا كلّ السياسات الأخرى. يتمّ تحديد السياسات الاقتصاديّة كنتيجة للعوامل الثلاثة التالية: أوّلاً المعرفة العلميّة لكيفيّة تحديدها وتنفيذها، وبالتالي تأثيرها على حياة المواطن؛ ثانيًا تحدّد كنتيجة للعقيدة الاقتصاديّة، أي أنّ سياسات الأحزاب اليمينيّة مثلاً تختلف جدّا عن الأحزاب اليساريّة؛ ثالثًا، من الصعب تنفيذ سياسات اقتصاديّة تضرّ بأصحاب المصالح إذ تصطدم بهم وربّما تؤثّر سلبًا على الاستقرار، وهنا تكمن ضرورة أن يتمتّع الحكّام بثقة أكثريّة المواطنين كي يستطيعوا مواجهة أصحاب المصالح على مختلف أنواعها.

يقول «جيمس بيوكانان» Buchanan إنّ الديموقراطيّة هي «الحكم عبر النقاش والحوار»، وبالتالي يجب تسهيلهما لمعرفة خيارات المجتمع. يقول أيضًا إنّ خيارات المواطنين تتغيّر عبر الزمن، إذ هنا تكمن ضرورة إجراء الانتخابات الدوريّة كلّ ٤ سنوات مثلاً أو أقلّ كي يبقى الحاكم مطّلعًا على أذواق ورغبات المواطنين. اختارت الولايات المتحدة تغيير مجلسها النيابيّ كلّ سنتين كي يبقى النائب قريبًا من المواطن. في العديد من الدول، تعتمد مدّتا الأربع أو الخمس سنوات. من أفضل الطرق التي يمكن أن تعبّر على رغبات المواطن هو الاجماع، علمًا أنّه صعب التحقيق في ظلّ الرغبات المتناقضة للناخبين. بدل الاجماع يمكن اعتماد الأكثريّات المطلقة أو النسبيّة أو غيرها بحيث تقترب أكثر الممكن من الاجماع.

نعم للاقتصاد الحرّ، لا للاحتكارات

لا يمكن تحقيق الأمن الاقتصاديّ في لبنان إلاّ عبر ضمان المنافسة الشفّافة والحيويّة. هنالك خوف دائم من أن يؤدّي النظام الاقتصاديّ الحرّ إلى الاحتكار بسبب قدرة الشركات الكبيرة على ابتلاع الصغيرة، وبالتالي تتعطّل المنافسة العادلة. هذا الخوف مبرّر. لذا، تحتوي الدول المتطوّرة على قوانين لمحاربة الاحتكار والحفاظ على المنافسة. فالولايات المتحدة مثلاً قسّمت شركة الاتصالات



المعروفة AT&T إلى وحدات عدّة متنافسة، لأنّها كانت تقضي على فرص الشركات الجديدة في الدخول إلى السوق. كما قاضت الدولة شركات عدّة كـ«مايكروسوفت» بسبب سيطرتها على قطاعات معيّنة ومنعها دخول المنافسين إلى السوق. فالنظام الاقتصاديّ الحرّ لا يمكن أن يعطي نتائج فضلى إذا لم تتمتّع أسواقه بالمنافسة الحيويّة المفيدة جدًّا للتطوّر والنموّ.

لماذا نجح الاقتصاد الحرّ وفشلت الاقتصادات الموجهة في الأكثريّة الساحقة من دول العالم؟ لماذا استمرّ وازدهر الاقتصاد المبنيّ على المنافسة والربح، وليس على الجشع، وسقطت الاقتصادات الأخرى؟ ما الذي يميّز الاقتصاد الناجح عن الفاشل؟ لماذا يتحقّق النجاح هنا والفشل هنالك؟ لماذا تحسّنت الأوضاع الاقتصاديّة في دول أوروبا الشرقيّة بعد انتقالها من الشيوعيّة إلى الأنظمة الحرّة؟ لماذا يستمرّ التفاوت كبيرًا بين الكوريّتين بالرّغم من التشابه الكبير في الانسان والعقليّة والتاريخ والثقافة؟

في الواقع الدولتان متشابهتان في كلّ شيء تقريبًا باستثناء النظام الاقتصاديّ. نجحت كوريا الجنوبيّة جدًّا في تحقيق نموّ كبير وأصبحت مضرب مثل للاقتصاد المتفوّق المرتكز على الصناعة والتطوّر التكنولوجيّ. أمّا الشماليّة، فاعتمدت الاقتصاد الموجّه والانفاق الكبير على العسكر والتسلّح والدفاع والأمن. يعتبر الاقتصاد الكوريّ الجنوبيّ من أكثر الاقتصادات تطوّرًا في العالم، وتعتبر منتجاته من سيّارات وإلكترونيّات وأدوات منـزليّة وغيرها من الأفضل. أمّا الكوريّ الشماليّ، فيتميّز بسوء الإنفاق، ما أجبره على استيراد المواد الغذائيّة بنسبة ٨٠٪ من حاجاته، بعد الاعتماد الذاتيّ حتّى سنة ١٩٩٤. لولا السياسة والمصالح الشخصيّة لحصل الاندماج الكوريّ منذ زمن، تمامًا كما كان الألمانيّ، علمًا أن لا مفرّ منه وأنّ تكلفة استيعاب القسم الشماليّ من قبل الجنوبيّ سيرتفع كلّما تأجّل الموعد.

هنالك اقتصادان كبيران ناجحان هما اليابانيّ والصينيّ. كلاهما يعتمد النظام الاقتصاديّ الحرّ منذ عقود، بالرّغم من اختلافات كبيرة في النظامين السياسيّين. الاقتصاد اليابانيّ متطوّر جدًّا والدخل الفرديّ يقارب الدخل الأميركيّ والأوروبيّ. أمّا الصين، فما زالت دولة نامية بالمعايير الفرديّة حيث يبلغ الناتج الفرديّ عشر الأميركيّ أو اليابانيّ. أحد أهمّ أسباب رفض الصين في الماضي لرفع سعر صرف «اليوان» هو خوفها من أن يحصل لها ما حصل في اليابان أي الانكماش. قبلت الصين مؤخّرًا تحرير سعر الصرف على مضض لإظهار نوع من التعاون مع المجتمع الدوليّ ولمحاولة تخفيف سوء التوازن النقديّ الدوليّ.

أمّا أوجه التشابه الاقتصاديّ بين التجربتين الصينيّة واليابانيّة فهي عديدة، أهمّها ثلاثة وهي أوّلاً نسب ادّخار عالية وسعر صرف مخفّض قسرًا لتحفيز الصادرات، وبالتالي تحقيق فائض كبير في ميزان الحساب الجاري. ثانيًا، نسب استثمار مرتفعة في كلّ القطاعات بينها التعليم والبحث العلميّ والبنية التحتيّة. نتج عن هذه الاستثمارات فائضًا كبيرًا في القدرات والطاقات الانتاجيّة وانخفاضًا في العائد على رأس المال. ثالثًا، اعتمد تمويل النموّ على الاقراض المصرفيّ ممّا ساهم في إبقاء الأسواق الماليّة غير متطوّرة بالدرجات المحقّقة في أوروبا وأميركا. من المخاطر المحتملة وقوع المصارف في أزمة ديون كبيرة كالتي تعرفها المجتمعات الغربيّة منذ سنة ٢٠٠٧.

يمكن للنموّ أن يتحقّق عبر نسخ الأفكار والسلع الجيّدة المصنوعة في الخارج. يمكن أن يحصل ذلك عندما تنتهي المدّة المعطاة للمخترعين أو ما يعرف ببراءة الاختراع. لكنّ تحقيق النموّ القويّ لا يمكن أن يرتكز فقط على النسخ، وإنّما على الإبداع، وهذا ما يشجّع عليه الاقتصاد الحرّ. يرتكز النموّ على إنتاج وإصدار وتطبيق أفكار جديدة، بحيث يستفيد المخترع كما المجتمع. يقول «أدام سميث» مؤسّس الفكر الاقتصاديّ الليبيراليّ إنّ الاقتصاد الناجح هو الذي يرتكز على الحريّة، شرط أن يتعزّز الادّخار في سبيل الاستثمار. من أكبر العوائق أمام النموّ في رأي «سميث» هو هدر أو تبذير القطاع العامّ أو ما يعرف بالانفاق الجاري. هذا لا يعني أنّ هذا الانفاق مضرّ دائمًا، بل يعني أنّ تبذيره يخفّف الموارد المتوافرة للاستثمار وبالتالي يعيق النموّ.

دور النظام الاقتصاديّ الناجح هو تحقيق البحبوحة للمواطن العاديّ كما للطبقات الوسطى وما دون. يكمن دوره في القضاء على الفقر ومنع استغلال الطبقات الفقيرة من قبل المجموعات الميسورة. دوره يكمن في حماية المنافسة كي تتعزّز الاستثمارات وتخفّ الحواجز أمامها كما في احترام حقوق المستهلك. يكمن دوره في القضاء على الفساد وعلى كلّ العوائق المؤسّساتيّة والقانونيّة التي تقلق المواطن وتخيف المستثمر. ما يزعج المستثمرين المحتملين في لبنان هو سوء الإدارة العامّة وارتفاع الفساد والرشوة كما الوقت الكبير الذي يهدر لتوقيع التراخيص والمعاملات. المضحك المبكي أنّ مسؤولين لبنانيّين كبارًا يشتكون في الإعلام وأمام الشعب من وجود هدر وفساد كبير في وزاراتهم. فهل هذا معقول ومقبول، ولماذا

لا يضربون أو يستقيلون؟ آن لنا أن يكون لنا مسؤولون جدّيون في المراكز الأساسيّة يقومون بواجباتهم ولا يشتكون لنا. لا يهمّنا أن نعرف لماذا لا يقومون بواجباتهم؛ عليهم إمّا القيام بها أو الرحيل.

من المزايا الأساسيّة للحريّة الاقتصاديّة أنّها تضرب التضخّم، إذ تستقطب الاستثمارات وتوسّع الأسواق وبالتالي تنخفض الأسعار. من الأسباب الأساسيّة لارتفاع الأسعار في لبنان وعدم مرونتها في الانخفاض ضيق السوق ووجود احتكارات قويّة في العديد من القطاعات. يكمن الحلّ في تحرير استيراد كلّ السلع كما في تخفيف العوائق أمام الاستثمارات كي تقوى المنافسة داخل الاقتصاد. يحتاج لبنان إلى قوانين عصريّة لحماية المنافسة واحترام حقوق المستهلك. تأخّرنا كثيرًا عن قسم كبير من الدول العربيّة، طوّر قوانينه الاقتصاديّة وأسواقه، وأصبح يتمتّع بالحريّة الكافية الجاذبة للاستثمارات.

لا شكّ أنّ الحريّة الاقتصاديّة تسبّب أيضًا ارتفاعًا في الإنتاجيّة بسبب الرغبة في الفوز وتحقيق الأرباح وتخفيض تكلفة الإنتاج. ارتفاع الإنتاجيّة يعني تحسّن الأوضاع المعيشيّة، وفي الوقت نفسه توفّر أوقات أكثر للنفس والعطل واللهو والتدريب والتعليم.

لا تكفي المنافسة الحرّة وحدها لتحقيق البحبوحة، بل هنالك دور كبير للقطاع العامّ في تحويل النموّ إلى تنمية عبر مجموعة من الضرائب، على أنّ المساعدات من شأنها أن تحسّن أوضاع المناطق كما الطبقات الشعبيّة. كيف يمكن وصف اقتصاد يموت فيه ١٠٪ من الولادات الجديدة؟ أمّا حياة الـ ٩٠٪ الآخرين، فليست سهلة بل تكون عمومًا مكوّنة من تحدّيات كبيرة وأحيانًا مستحيلة. هذا هو حال مجموعة كبيرة من الدول الفقيرة ذات المديونيّة العالية HIPC. تشير الدراسات إلى أنّ سوء الغذاء في الصغر لا يعوّض في الكبر، ما يشير إلى أهميّة نقطة الانطلاق في «السباق» الحياتيّ. كيف يمكن لاقتصاد أن ينمو ويتطوّر إذا لم يستثمر في البنية التحتيّة الأساسيّة ويحدّثها ويطوّرها. تقدّر حاجات الدول النامية في البنية التحتية سنويًا بما يعادل ٤٦٥ مليار دولار (بينها ١٨٧ مليار للاتصالات، ١٣٨ مليار للطاقة و ٩٠ للطرق)، أي ٥،٥٪ من الناتج. لا يمكن لأيّ نظام اقتصاديّ أن يصف نفسه بالناجح إذا لم يحقّق مطالب المواطن الأساسيّة في البنية التحتيّة كما الفوقيّة.

المطلوب في لبنان اليوم تطوير النظام الاقتصاديّ الحرّ الذي ميّزه منذ استقلاله، وذلك عبر وضع ضوابط جديدة لتأمين المنافسة والنوعيّة. نعم للنظام الاقتصاديّ الحرّ الذي يخلق الثروة ويعزّز حقوق المستهلك، لا للاحتكارات التي تأكل حقوق المواطن وتستغلّه في السعر والجودة. يحتاج لبنان إلى قوانين جديدة تتأمّن عبرها حقوق المواطن فيتعلّق أكثر بأرضه ولا يشعر بالاستغلال وسوء الاحترام. إنّ دخول لبنان إلى منظّمة التجارة العالميّة يعتبر خطوة أساسيّة في هذا الاتجاه طال انتظارها.

الخيارات الاقتصاديّة الخاطئة في الأزمات

في وقت الأزمات المهمّة، كما يحصل خلال الأزمة الماليّة العالميّة، يضع الحكّام للأسف أولويّة للإمكانات الماليّة على حساب الحاجات والمشاكل الاجتماعيّة كالبطالة والضمانات. هذا ما يحصل اليوم مع اليونان، وما يمكن أن يحصل مستقبلاً مع دول أخرى كإسبانيا والبرتغال. في هذه الحالات خصوصًا، يجب أن تبرّر الحكومة للمواطن لماذا اختارت تخفيض هذا النوع من الانفاق وليس غيره. على الحكومة في حالات كهذه أن تكشف حساباتها أمام الجمهور، بما فيها الانفاق العسكريّ والأمنيّ. من غير المقبول إخفاء أيّ شيء من أمام عيون المواطن عندما يطلب منه القيام بالتضحيات الكبرى. لا يحقّ للحكومات أن تطلب من المواطن التضحية عندما تكون هي أو من سبقها في الحكم مسؤولة عن الوضع الاقتصاديّ والماليّ السيّء للدولة.

لا شكّ أنّ الاقتصاد الجديد المنفتح والمرتكز على التكنولوجيا قرّب المسافات الجغرافيّة والسياسيّة، كالتي كانت تفصل بين المواطن والحاكم. فالاقتصاد الجديد لم يرفع فقط إنتاجيّة عوامل الإنتاج، بل ساهم في توعية المواطن على حقوقه وواجباته. فالإنترنت كما الاتصالات فتحت عين المواطن وذهنه، وبالتالي أصبح يعي حقوقه وواجباته أكثر، تبعًا لما يراه في الدول المتقدّمة ديموقراطيًا. ساهم الاقتصاد الجديد أيضًا في تعزيز النموّ والنجاح أكثر في مكافحة التضخّم، بسبب الانفتاح وما تبعه من زيادة في حجم التجارة الدوليّة. كان لهذا الانفتاح نتائج إيجابيّة ضخمة، لكنّه ساهم أيضًا في زيادة مخاطر الاستثمارات. من نتائجه الأساسيّة أيضًا عودة الاقتصادات إلى النموّ بسرعة، بعد أزمة ماليّة كبرى بدأت في سنة ٢٠٠٧ ولم تنته بعد. سمح الانفتاح بتقديم فرص استثماريّة جديدة ذات مخاطر معتدلة ما أتاح عودة النشاط إلى الأسواق.

من المتوقّع، تبعًا لمنظّمة التنمية والتعاون OECD، أن تنمو الاقتصادات هذه السنة بنسب مرتفعة مقارنة بسنة ٢٠٠٩، أي ١،٤٪ في ألمانيا، ١،٢٪ في بريطانيا، ٢،٥٪ في الولايات المتحدة، ١،٨٪ في اليابان، ٤،٩٪ في روسيا، ٤،٨٪ في البرازيل، ١٠،٢٪ في الصين و٧،٣٪ في الهند. تشير هذه الأرقام أيضًا إلى تغيّرات كبيرة في التوازنات الاقتصاديّة الدوليّة لمصلحة آسيا وضدّ الغرب، بحيث من المتوقّع أن تصل في سنة ٢٠٢٥ حصّة آسيا من الاقتصاد العالميّ إلى ٤٥٪ مقارنة بـ ١٨٪ لكلّ من الولايات المتحدة وأوروبا الغربيّة. هل تكون الهند قوّة اقتصاديّة دوليّة أساسيّة في سنة ٢٠٢٥؟ هذا سؤال كبير وواقعيّ في نفس الوقت.

سوء إدارة القطاع العامّ في لبنان

تعاني أكثريّة الدول الغربيّة من فلتان مضرّ في الإدارة الماليّة. في دراسات منظّمة التعاون الاقتصاديّ والتنمية OECD يتبيّن أنّ نسبة الدين من الناتج ستصل إلى ١٠٠٪ في الولايات المتحدة في حدود سنة ٢٠١١ مرتفعة من ٦٢٪ في سنة ٢٠٠٧. بالنسبة لكلّ الدول الأعضاء في المنظّمة، تشير الدراسات إلى ارتفاع الدين العامّ من الناتج من معدّل ٧٠٪ في سنة ٢٠٠٠ إلى ٧٥٪ في سنة ٢٠٠٥، إلى ٨٠٪ في سنة ٢٠٠٨، وإلى متوقّع قدره ١٠٥٪ في سنة ٢٠١١. هذا لا يعود فقط إلى الأزمة الماليّة العالميّة ونتائجها واضطرار الدول إلى ضخّ الكثير من الأموال في السوق للانقاذ، وإنّما بسبب عدم إدارة الموازنات بالطرق العلميّة الفضلى. كانت السياسات الماليّة تبذيريّة في العديد من الأحيان عبر الدعم الماديّ القطاعيّ والاجتماعيّ الموجّه سياسيًا والمكلف جدّا اقتصاديًا وأخلاقيًا. يقول الاقتصاديّان «راينهارت» و«روغوف» في دراسة جديدة، إنّ وصول الدين العامّ إلى ما يفوق ٩٠٪ من الناتج يحرم الاقتصاد من نقطة نموّ مئويّة سنويّة، أي يصبح مكلفًا جدًّا على الاقتصاد عمومًا والفقراء خصوصًا.

تمرّ اليونان بمرحلة قاسية جدًّا ناتجة عن سوء إدارة المال العامّ لسنوات عديدة خلت. فاليونان كما لبنان ليسا فقط متقاربين في العقليّة وطرق العيش، وإنّما أيضًا في كيفيّة إدارة القطاع العامّ. الفساد اليونانيّ كبير وعتيق تاريخيًا. وكذلك هي الحال في لبنان حيث يترابط الفسادان السياسيّ والإداريّ. يعيش اليونانيّون فوق طاقاتهم الماديّة، وكذلك اللبنانيّون؛ علمًا أنّ المستوى المعيشيّ أعلى في اليونان بحوالى ٤ أضعاف. نتج عن الممارسة اليونانيّة غير الفضلى وصول عجز الموازنة إلى ١٢،٧٪ من الناتج والدين العامّ إلى ما يقارب ١١٥٪ منه، كما وصول الدين العامّ اللبنانيّ إلى ما يقارب ١٦٠٪ من ناتجنا. من واجب اليونان العودة إلى معايير اتفاقيّة «ماسريخت»، أي خفض عجز الموازنة إلى ٣٪ من الناتج والدين العامّ إلى ٦٠٪ منه، وهذا يتطلّب سنوات طويلة من العمل الشاقّ عبر تغيير طريقة إدارة الدولة والأموال العامّة. من واجب لبنان خفض دينه أيضًا إلى أدنى الحدود الممكنة، وما نقاش بنود الموازنة المستمرّ إلاّ محاولة لنقل المشكلة إلى الرأي العامّ الذي سيتحمّل عاجلاً أم آجلاً مسؤوليّة تسديد الدين.

تطوير الزراعة ضروريّ للأمن القوميّ

يرتفع عدد سكّان العالم مؤخّراً بنسب مرتفعة، ما يطرح تساؤلات حول توافر الموادّ الغذائيّة لهم. في بداية التكوين السكّانيّ، كان النموّ بطيئًا فوصل عدد سكّان العالم إلى حدود مليار نسمة فقط في سنة ١٨٠٠. وتزايد بسرعة فيما بعد، بحيث تضاعف حتّى سنة ١٩٢٧ ليصل إلى ٣ مليارات شخص في سنة ١٩٦٠ و٤ مليارات في سنة ١٩٧٤ و٥ مليارات في سنة ١٩٨٧ و٦ مليارات في سنة ١٩٩٩ وإلى حوالى ٦،٨ مليار نسمة اليوم بينهم ٣،٩ مليار أو ٥٧٪ في آسيا. من المتوقّع أن يصل عدد سكّان العالم إلى ٩ مليارات شخص في سنة ٢٠٥٠، وهذا يتطلّب زيادة الإنتاج الزراعيّ العالميّ الحاليّ بنسبة ١٠٠٪. فهل هذا ممكن، وما هو المطلوب لتجنّب وقوع أزمة غذائيّة عالميّة أسوأ ممّا حصل مؤخّرًا؟ هل تقتصر الأزمة على الإنتاج أو ترتبط أيضًا بالسعر الذي يتقلّب كما لم يحدث في الماضي؟

في كلّ حال من الضروريّ عدم المبالغة في تضخيم خطورة وحساسيّة موضوعَي السكّان والغذاء، وهذا ما تعمل عليه بعض الجمعيّات العالميّة في سبيل الحصول على مساعدات ماليّة سخيّة. يقول «بجورن لومبرغ Lomborg، وهو منسّق «مبادرة كوبنهاغن»، إنّ بعض الجمعيّات تضخّم فعلاً الأزمات البيئيّة والغذائيّة لمصالحها الخاصّة، بحيث تضغط باتجاه تطبيق الحمايات وتدخّل الحكومات في الاقتصاد بالإضافة إلى الاستفادات الماديّة المباشرة. هنالك خلفيّات سياسيّة لبعض هذه الجمعيّات والمؤسّسات بحيث تهدف إلى خلق أجواء قلق وخوف، عبر توجيه رسالات سلبيّة إلى المجتمع الدوليّ بشأن فوائد النظام الاقتصاديّ الحرّ. من الخطأ تسييس موضوعَي الفقر والغذاء وإبقاؤهما ضمن الهوامش الاجتماعيّة الصحيحة والصحّيّة. من الضروريّ أن نعي جميعًا، وكما ذكرنا أعلاه، أنّ المشكلة لا تكمن في الحريّة الاقتصاديّة أو في مبدأ حريّة الأسواق، وإنّما في ممارسة بعض المحتكرين الجشعين الذي يستغلّون النظام لتحقيق أرباح كبرى على حساب المواطن وخاصّة الفقراء.

تهدف هذه الجمعيّات المبالغة في رسالتها إلى تنفيذ حمايات في القطاع الزراعيّ، كما يحدث في أوروبا والولايات المتحدة. فالسياسة الزراعيّة الأوروبيّة المشتركة PAC ساهمت في سنة ٢٠٠٩ في ضخّ حوالى ٥٥ مليار يورو لحماية ودعم الزراعة. فهي البند الأوّل في الميزانيّة الأوروبيّة المشتركة، علمًا أنّ نسبتها من المجموع انخفضت من ٧٠٪ في السبعينات إلى ٤٠٪ اليوم. تسبّب هذه السياسة ضررًا كبيرًا للمنتجين المتوسّطين والصغار الذين لا يستفيدون منها، كما بالنسبة للمستهلك الذي يدفع أسعارًا أعلى بسبب الحمايات المطبّقة. فحقوق المستهلك ومصالحه تهدر لحماية أقليّة منتجة ترفع أسعارها فوق الأسعار العالميّة المتوافرة للسلعة. فالسياسة الزراعيّة الغربيّة ومنافعها الماديّة تذهب إلى جيوب كبار المزارعين في أوروبا وأميركا الذين لا يحتاجون أصلاً إلى حمايات ولا إلى مساعدات. اقتصاديًا، تعني الحماية والدعم وتدفّق الأموال إلى بعض المتنتجين أنّهم أصبحوا عمليًا موظّفين في الدولة، وهذا ما يساهم في ضرب قواعد النظام الاقتصاديّ الحرّ.

مشكلة أسعار الغذاء لا ترتبط فقط بمستواها، وإنّما بالتقلّبات الكبيرة المتزايدة بين مدّة وأخرى. من الضروريّ جدًّا فهم أسباب تقلّبات الأسعار لتأثيرها المباشر على أوضاع المصدّرين والمستوردين، وتحديدًا على

الموازنات والتضخّم وميزان المدفوعات ونسب وعمق الفقر. تؤثّر التقلّبات كثيرًا أيضًا على المستهلكين والمنتجين، أي على قرارات الاستثمار والاستهلاك الخاصّة بهم، كما تجعل اتخاذ القرارات المناسبة من قبل المسؤولين الحكوميّين أكثر تعقيدًا. في الواقع تزداد التقلّبات بسبب تغيّر أوضاع العرض المرتبطة بالطقس وتوافر الأسمدة والأدوية المناسبة، خاصّة في الدول النامية والناشئة. من الضروريّ أن نعي أنّ معالجة التقلّبات الصغيرة المتواصلة يبقى أصعب من معالجة التقلّبات الكبيرة التي تكون مُدَدُها عمومًا أوضح وأقصر. فمُدَدُ التقلّبات الصغيرة الطويلة الأمد تضرّ كثيرًا، إذ تدخل في توقّعات المواطن والمسؤولين، وبالتالي تصبح معالجتها أدقّ وأصعب وتتطلّب الوقت الطويل.
بينما كانت نسبة تقلّبات الأسعار تقارب ٨٪ في منتصف الستّينات، وصلت مؤخّرًا إلى ٢٠٪، أو بمعنى آخر كانت منخفضة في مرحلة ١٩٥٥-١٩٧٠ لترتفع بعدها كثيرًا في الـ ١٠ ١٥ سنة الأخيرة. تشير الدراسات إلى زيادة تقلّبات أسعار السلع الزراعيّة في مراحل الأزمات الاقتصاديّة العامّة، أي عندما ترتفع العوائق في وجه التجارة الدوليّة أو عندما تتعثّر العلاقات الماليّة والنقديّة، تمامًا كما حصل في سنة ١٩٧١ مع انتهاء العمل باتفاقيّة «بروتون وودز». أمّا التقلّبات الأكثر حدّة فحصلت في ٢٠٠٨\٢٠٠٩ بسبب الأزمة الماليّة العالميّة التي فاقت كلّ التوقّعات بحيث قاربت في العديد من المؤشّرات أزمة ١٩٢٩. انخفضت التقلّبات في الأشهر الأخيرة من سنة ٢٠٠٩ بسبب الركود الذي ضرب معظم اقتصادات العالم.

من ناحية أخرى، انخفضت نسبة السكّان التي تعاني من سوء الغذاء من ٢٠٪ من سكّان العالم في ١٩٩٠\١٩٩٢ إلى ١٦٪ في سنة ٢٠٠٦، ما يشير إلى حسن مواجهة هذا النقص الذي ينعكس سلبًا على الصحّة والعقل. هذا يعني أنّ أكثر من مليار شخص ما زال يعاني من مشاكل غذائيّة موقّتة أو دائمة ناتجة عن ضعف الدخل. فضعف إنتاجيّة الزراعة وسوء تسويق المنتجات وتلوّث المياه ينعكس سلبًا على الصحّة. والموادّ الغذائيّة التي لا تتوافر لهم بشكل منتظم، لها انعكاساتها السلبيّة أيضًا على صحّتهم وإنتاجيّتهم. في التوزيع المناطقيّ، يتبيّن وجود منطقتين محرومتين من الغذاء هما جنوب آسيا ودول الصحراء الأفريقيّة، وتأتي في المقدّمة دول جنوب آسيا. أمّا في نسبتهم من عدد السكّان فتأتي دول الصحراء الأفريقيّة في الطليعة. تأمين الغذاء بشكل دائم وكافٍ لهذه الشريحة السكّانيّة الكبيرة يطرح تحدّيات لا تقتصر على الاقتصاد، وإنّما تصل إلى السياسة والأمن والاجتماع والبيئة. في أفريقيا مثلاً، ترتبط مشكلة الغذاء بالفساد المستشري والحروب الداخليّة والخارجيّة المتنوّعة والمستمرّة كما بالفقر المنتشر والعميق بالإضافة إلى الأمراض الكبيرة المعدية بدءًا من الملاريا فالسلّ والسيدا وغيرها.
ما هو المطلوب لزيادة الانتاج الزراعيّ بما يترافق مع تطوّر المجتمعات والنموّ السكّانيّ في كلّ الدول والمناطق مع الحفاظ على نوعيّة وجودة الثروة الطبيعيّة التي يجب أن تنتقل بسلام من أجيال إلى أخرى؟

أوّلاً: من الصعب وضع أراض واسعة جديدة كي تزرع في ظلّ ارتفاع أسعار العقارات وانتقال السكّان أكثر فأكثر من الريف إلى المدن. لذا، فالمطلوب رفع إنتاجيّة الزراعة بحيث ينتج المتر المربّع أكثر بكثير في كلّ الدول عبر استعمال التكنولوجيا الحديثة كما الأدوية والأسمدة المناسبة. بين سنتي ١٩٦١ و٢٠٠٣، تضاعف عدد سكّان العالم مرّتين، كما زاد الإنتاج الزراعيّ بنسب أكبر نتيجة زيادة الإنتاجيّة، والمطلوب استمرار هذا النهج عالميًا.

ثانيًا: لا تحلّ مشكلة الغذاء في الإنتاج فقط، وإنّما المطلوب حسن التسويق والتوزيع بحيث يصل الغذاء إلى من يحتاج إليه في الدول الفقيرة. فالغذاء متوافر مثلاً في العديد من عواصم دول أفريقيا وآسيا، لكنّه لا يصل إلى المناطق بسبب الفساد وسوء النقل والتوزيع وغيرها من العوامل الأمنيّة. المطلوب تأمين وصول الغذاء إلى المناطق والفقراء.

ثالثًا: الاستمرار في مفاوضات الجولة التاسعة لمنظّمة التجارة الدوليّة التي بدأت رسميًا في سنة ٢٠٠١، والتي تهدف إلى تحرير الأسواق والتخفيف من كلّ أنواع الدعم والحمايات خاصّة في الزراعة. في حال نجحت الجولة، ستستطيع الدول الفقيرة التصدير أكثر إلى الدول الغنيّة، فتستفيد هي كما يستفيد أيضًا وخاصّة مستهلكو الدول الغنيّة، الذين سيحصلون عندها على سلع جيّدة بأسعار أقلّ بكثير ممّا هو عليه اليوم. فهل تصل المفاوضات إلى نهايتها السعيدة هذه السنة؟

لماذا الاهتمام في لبنان بالحالة اليونانيّة؟

لماذا هذا الاهتمام الدوليّ بالحالة اليونانيّة، إذ أنّ الاقتصاد اليونانيّ لا يشكّل إلاّ ٢،٨٪ من اقتصاد الوحدة الأوروبيّة؟ هناك خوف من أن تنتقل الحالة اليونانيّة إلى عدد كبير من الدول الأخرى. و هناك أيضًا ديون يونانيّة ستستحقّ في الشهرين المقبلين تصل إلى ٢٠ مليار يورو يجب تسديدها منعًا للإفلاس. لا شكّ أنّ التركيز الدوليّ على الحالة اليونانيّة مفيد لليونان، لكنّه مضرّ للاقتصادات الشبيهة التي تتخفّى وراء اليونان لتؤجّل تنفيذ الحلول الضروريّة الموجعة. فأوروبا ومصرفها المركزيّ خائفان من انعكاس الوضع اليونانيّ أكثر على صحّة اليورو وقوّته كنقد دوليّ، خاصّة وأنّه انخفض هذه السنة كثيرًا تجاه الدولار. في إحصائيّات فرنسيّة جديدة، يتبيّن أنّ ٦٩٪ منهم نادمون على استبدال الفرنك باليورو مقارنة بـ ٣٩٪ في سنة ٢٠٠٢، ما يدلّ على قلق المواطن المتزايد تجاه نقده وانعكاسه على مستقبله المعيشيّ.

تشعر الحكومة اليونانيّة اليوم أنّه عليها خفض العجز عبر الانفاق والضرائب وعدم اللجوء إلى الحلول المضرّة المرتبطة بالتضخّم أو الافلاس، علمًا أنّ خفض سعر صرف اليورو ليس من صلاحيّاتها. العديد من الدول الناشئة لجأ في الماضي إلى حلول قسريّة لخفض قيمة الدين الحقيقيّة كالتضخّم والإفلاس وضرب سعر الصرف. لكنّ هذا ممنوع على اليونان الأوروبيّة، خاصّة إذا قرّرت البقاء في الوحدة. خروج اليونان من اليورو اليوم يضرّها مستقبلاً أكثر ممّا ينفعها، إذ يصيب مصداقيّتها ويعيق تنفيذ أيّ سياسات إقليميّة مستقبليّة ترغب في القيام بها.

تشير دراسات البنك الدوليّ إلى أنّ السياسات الماليّة الفضلى هي التي تخفّف حدّة تقلّبات الدورة الاقتصاديّة ولا تزيد منها، أي عليها أن تتوجّه عكس السير إلاّ في الحالات الطارئة. ما طبّق من سياسات ماليّة في السابق لا يجاري العلوم التي تتطوّر نظريًا وتعتمد على التجارب الخاطئة والناجحة. ما يحصل في اليونان اليوم يمكن أن يحصل غدًا في إسبانيا والبرتغال وايرلندا وإيطاليا. لذا يشعر الأوروبيّون بالخطر ويقترحون تأسيس «صندوق نقد أوروبيّ» مشابه لصندوق النقد الدوليّ تقتصر صلاحيّاته على دول الوحدة النقديّة الأوروبيّة.

اللافت للنظر هو تزايد عدد المهاجرين إلى إسبانيا واليونان، أي إلى أوروبا، والذي يرتفع من عقد إلى آخر، ما يؤثّر سلبًا على الموازنات. في اليونان ارتفعت نسبة المهاجرين الوافدين من ٤٪ من السكّان في سنة ١٩٩٠ إلى ٧٪ في سنة ٢٠٠٠ وإلى ١٠٪ هذه السنة، ما يرفع من تكلفة استقبال هذه الأعداد الكبيرة من البشر. تصل هذه النسبة إلى ١٤٪ في إسبانيا، أي تفوق النسبة الأميركيّة (١٣٪) من دون أن تصل إلى المستوى الأستراليّ الفريد (٢٢٪).

ما المطلوب من اليونان، وما هي الدروس للبنان؟

ما هو المطلوب من اليونان اليوم مقابل مجموعة قروض تبلغ ١١٠ مليار يورو، بينها ٣٠ مليار من صندوق النقد الدوليّ، والباقي من الوحدة النقديّة الأوروبيّة؟ لماذا الدعم الشعبيّ للبرنامج ضروريّ إلى أقصى الحدود، ليس فقط لحسن تطبيق البرنامج، وإنّما أيضًا لضمان الاستقرار السياسيّ والأمنيّ؟ هل تستطيع حكومة «باباندريو» الاستمرار في الحكم في ظلّ المعارضة الشعبيّة الكبيرة الظاهرة لسياساته الحاليّة والموروثة؟ ما هي الإجراءات المطلوبة من اليونان، وبالتالي ما هي السياسات التي يمكن أن تطلب من الدول ذات الأوضاع المماثلة من ناحيتي عجز الموازنة وحجم الدين العام؟ هنالك ضرورة لتصحيح الوضع الماليّ، أي خفض عجز الموازنة وحجم الدين العام. من المتوقّع أن يتمّ ذلك عبر تخفيضات موجعة في الانفاق، ومن بينها الأجور والضمانات الاجتماعيّة والإنفاق العسكريّ والأمنيّ. من واجب الحكومة اليونانيّة ضبط كلّ الإنفاق وتعزيز إدارة الضرائب كي ترفع من نسبة التحصيل، علمًا أنّ الفساد السياسيّ في اليونان لا يقلّ عمّا نعرفه في العديد من الدول العربيّة. المطلوب أيضًا إدخال ضرائب جديدة لزيادة الإيرادات. يجب على اليونان أن تحقّق إصلاحات إداريّة مهمّة لضبط الإنتاجيّة ورفع مستوى الخدمات وتخفيف الرشوة والفساد عمومًا.

أوّلاً: في الواقع، تعهّدت الحكومة اليونانيّة بخفض العجز من ١٢،٧٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٨،٧٪ في سنة ٢٠١٠، وهذا يتطلّب تضحيات كبرى من ناحيتي الإنفاق والضرائب تصل قيمتها إلى ٦،٥ مليار دولار. تطبيق الحلول الموجعة يدفع المتضرّرين، وخاصّة النقابات العماليّة، إلى التظاهر احتجاجًا على تحميلهم جزءًا كبيرًا من التضحية، وربّما يلجأون تباعًا إلى إقفال العديد من المرافق العامّة كالمطارات والمدارس والمستشفيات.

ثانيًا: الإنفاق الذي يجب خفضه من ٥٢٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٥٠،٦٪ هذه السنة عبر خفض الإنفاق على الدفاع وتخفيف دعم صناديق التقاعد والمستشفيات كما خفض أجور موظّفي القطاع العامّ بنسبة ١٠٪ وصرف ثلث المتعاقدين ووقف التوظيف أي عدم استبدال المتقاعدين بأجراء جدد إلاّ في خمس الحالات فقط، وذلك لتأمين الحدّ الأدنى من الخدمات الأساسيّة المطلوبة. أمّا الإجراءات الإضافيّة للسنوات المقبلة فتعتمد على نسب النموّ التي ستتحقّق هذه السنة وفي سنة ٢٠١١.

ثالثًا: في الضرائب، تتوقّع الحكومة ارتفاع الإيرادات من ٣٩،٣٪ من الناتج في سنة ٢٠٠٩ إلى ٤١،٩٪ هذه السنة. تتلخّص الخطوات المطلوبة بتسهيل النظام الضرائبيّ عبر توحيد النسب ورفعها على الشركات ذات الأرباح المرتفعة كما على عمليّات التبادل العقاريّ. هنالك ضرائب ورسوم إضافيّة على الدخان والمشروبات والمحروقات والخليويّ. من المتوقّع أن تقوم الحكومة بجهود إضافيّة لتخفيف حجم التهرّب الضرائبيّ عبر رقابة أفضل وأحدث، تساعدها على تنفيذها مؤسّسات الوحدة الأوروبيّة الموجودة في بروكسيل. ليس من السهل على أيّ حكومة رفع الضرائب في ظروف دوليّة متوتّرة كما يحصل اليوم. في الإحصائيّات الأميركيّة يتبيّن أنّ التنظيم السياسيّ الأقوى هو المعادي للضرائب، ويطالب حكومة أوباما بترشيد الانفاق.

رابعًا: يجب رفع تنافسيّة الاقتصاد عبر تنفيذ سياسات تحفّز النموّ وتحرّر الاقتصاد من سيطرة قوى احتكاريّة قليلة العدد وقويّة النفوذ. المطلوب أيضًا اعتماد سياسات تحارب التضخّم، وبالتالي تجعل السلع اليونانيّة أكثر

قابليّة للتصدير. يؤثّر توسيع الأسواق وزيادة المنافسة على الأسعار، ما يساهم في تحسين مستوى المعيشة واحترام حقوق المستهلك بدرجة أعلى.

المخارج الممكنة

من الطبيعيّ القول إنّ الحكومة ستفشل في تنفيذ السياسات إذا لم يتحمّس لها اليونانيّون. الظاهر أنّ المواطن اليونانيّ يتّهم الطبقة السياسيّة غير المتجدّدة، بل المتوارثة سياسيّا، بالفساد، وأنّها أوقعته في فخ الأزمة. لا يرى بالتالي لماذا عليه التضحية، عندما لا يكون الذنب ذنبه؟ في الحقيقة أنّ الخيارات صعبة جدّا وتقع بين تطبيق البرنامج الصعب أو الوصول إلى الإفلاس وما يمكن أن يتبعه من خضّات أمنيّة وسياسيّة لا تقلّ خطورة عمّا عرفته اليونان في مرحلة الجنرالات. من الممكن أن يكون الخيار الواقعيّ الذي يحافظ على موقع اليونان في منطقة اليورو هو حصول تغيير حكوميّ مستقبليّ مع وجوه جديدة كَفِيّة آتية من القطاع الخاصّ والمؤسّسات التربويّة، ولا شبهات عليها. يساهم التغيير في اقناع المواطن بالقبول بالتضحيات القاسية التي يجب أن يعتمدها. في الواقع، تجد اليونان نفسها في موقع لا يمكن أن تحسد عليه.

لبنان والحالة اليونانيّة

هل يمكننا تجنّب الحالة اليونانيّة وحلولها الموجعة حفاظًا على الاستقرار الاجتماعيّ وتعزيزًا للأمن الاقتصاديّ؟ هنالك فرصة تكمن في أنّنا نضع هذه السنة موازنتين لسنتي ٢٠١٠ و٢٠١١، يمكن أن تشكّلا الخطوة الأولى نحو الانقاذ. من الخطأ رفع الضرائب قبل إحداث نظام جديد مبنيّ على الفعاليّة والشفافيّة والعدالة. المطلوب في الموازنات الجديدة تخفيض الانفاق وترشيده تدريجيّا وتحصيل الضرائب والرسوم الموجودة. يجب البدء ببعض الإصلاحات الإداريّة التي تفعل عمل الإدارة وتخفّف من التهرّب الضرائبيّ. فالمواطن اللبنانيّ لا يتحمّل أيّ ضرائب جديدة، وهو غير قادر على تحمّل أعباء معيشته. المطلوب في الموازنات نقلة نوعيّة في طريقة التعامل مع اللبنانيّ بحيث تبقيه نشطًا وعاملاً في الاقتصاد لمصلحته ومصلحة دولته. يجب تعزيز الحريّة الاقتصاديّة ومحاربة الاحتكارات كما النظر بجديّة إلى وضع الزراعة دعمًا للتنمية والريف. التضحيات مطلوبة، وكلّما تأجّلت الخطوات كلّما كبرت الخسائر وصعبت التضحيات.







عبده لبكي

في إشكاليّة تعلّم اللغة

لم يعد ممكنًا الاستمرار في تجاهل ما نحنُ فيه من تدنٍّ لمستوى تعلّم اللغة، لاسيّما بعد النتائج المروّعة الّتي تطالعنا بها الامتحانات الرّسميّة سنة بعد سنة، وقد باتت المواقف منها مجرّد تعبير عن الأسف، أو استسلامٌ لواقعٍ تفرضه ظروف الحياة المادّيّة، مع ما يرافق ذلك من عدم الاستقرار النّفسيّ، في ظلّ الأحوال الدّائمة التقلّب، على مختلف الصّعد: الاجتماعيّة والسياسيّة والاقتصاديّة. ويبدو أنّ شأننا في ما يحصل، هو شأن من يُؤْثر الانجراف في التيّار، عوضًا من مقاومته. وهو تيّارٌ وراءه أدمغة، تدّعي أنّ لها الحقّ في تسيير العالم، وفق ما ترتأيه، خدمة لأهدافٍ لا علاقة للحقّ بها.

لننظر في ما ننظر، إلى ما يعنيه تعلّم اللغة، الّتي يتّخذ منها كثيرون، موقف المزدري أو الرّافض أو اللاّمبالي، متوهّمًا حيازة المعرفة وهو غارق في الجهل، ومتذرّعًا بمقتضيات المعاصرة، يتمسّك بالسّخيف من الحجج، ليُطَمْئِنَ نفسه أوّلاً، وليؤكّد من ثَمّ، أنّ عصرنا هو عصر التّكنولوجيا، وبالتّالي، لا حاجة بنا إلى اللغة، إلاّ بمقدار ما تفيدنا به عمليًّا في مجالات التّعامل النفعيّ، والتّبادل التّجاريّ. لذا يجب أن نقصر اللغة على المفردات والتراكيب المباشرة، الّتي تخدم هذا الهدف، ونرمي ما تبقّى منها في نهر النّسيان الهادر، حرصًا على «الرّأس» من وجعٍ أو «ميغرينيا» لا يسبّبهما غير اللغة الحاملة تراث البشريّة! مسكينة اللغة، يتنكّر لها إنسان اليوم، وفضلها عليه منذ وجد لأجل أستمراريّة أمينة، واضح القسمات، بل عميق الأخاديد في وجه الحضارة المقصورة على البشر دون سائر الكائنات. أَلَيْسَ أَنّ المتخلّفين من البشر يُنعتون بالتّوحّش، لتأخّرٍ عندهم عن بلوغ اللغة مرحلةَ النّضج، وتعثّرِ مسيرتها في اتّجاه الرقيّ!؟

لقد فات النّاس في عصر العولمة هذا، وتحت وطأة المجتمع الاستهلاكيّ، أنّ اللغة هي العقل. فجميع قوانين المنطق كامنة في اللغة: مفرداتها، ومدلولاتها، وأساليبها، وقواعدها، وبُناها، وسياقاتها، وتراكيبها، وصِيغها... وعليه، فإنّ كلّ إتقانٍ للّغة، هو تجاوزٌ لأسباب التّخلّف، وبلوغٌ للعقل. بل هو «التّكنولوجيا» في مفهومها الحقيقيّ، الّذي يعني التّصرّف بالمادّة، بواسطةٍ من الصّور الذهنيّة والمجرّدات.



باللغة كما يقول «هيغل» الفيلسوف الألمانيّ، نستطيع أن نستوعب العالم، ونعيد صياغته، في ديناميّة التطوّر. إلاّ أنّ البعض ويا للأسف يعتبر اللغة اليوم وسيلة نقل للحاجات الآنيّة، أيْ لِما هو من ضرورات الاستهلاك وحسب! ليست اللغة مجرّد مادّة إضافيّة من موادّ التّعلّم، تزاد على المعارف، وتستقرّ في خزانة هامشيّة، لا دور لها غير الإبقاء على ما لاحاجة بنا إليه. اللغة هي فعل وجود بين الأنا والآخر ليس في ممارسة الحياة اليوميّة فقط، وإنّما عبر أمواج الزّمن وترسّباته ماضيًا وحاضرًا ومستقبلاً في تدرّجيّة الارتقاء اللامتناهي.

خصّ الله الإنسان بالنّطق لكي يحاوره، وبالتّالي لكي يستحقّ ما وعده به، إنْ هو سما باللغة، مجاورًا مصدرها. فمن غير المعقول ولا الممكن، أن يخرج الكائن البشريّ على نفسه إلى انفصام مرضيّ فتتحوّل اللغة معه إلى أداة تدمير ذاتيّ ومصيريّ.

اللغة تكوّن شخصيّة الإنسان وتخلّصه من الإعاقة، ويقينًا تساعده على المضيّ صعدًا. باللغة يمشي على قدمين مستقيمًا، ومن دونها يدبّ على الأربعةِ القوائم. فحريٌ إذًا أن تُوَفّى اللغة حقّها، وتنال من الاحترام ما هو جدير بها، خصوصًا في المكان الّذي خصّها به المستنيرون، عنيت المدرسة. ففي المدرسة يكتسب المتعلّم اللغة، ويتعرّف طبيعتها، وماهيّتها، فينفذ بواسطتها إلى أسرار الفكر والطّبيعة.



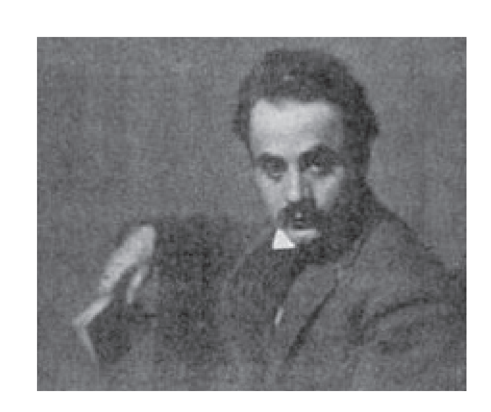
يقول «فرانسيس بيكون» الفيلسوف الإنكليزيّ: «لكي نستطيع السّيطرة على الطّبيعة، ينبغي لنا أن نخضع لها، إذ نكتشف أسرارها». وهكذا بالنّسبة إلى اللغة الّتي هي فعل وجود وتجاوز، وكذلك أداة تواصل وتحكّم وتحقيق...

تتعدّد اليوم نظريّات تعليم اللغة، وهي في معظمها مبنيّة على نمطيّة الأخذ بوجهات النّظر المستوردة- على تناقضها- والّتي هي نتاج بيئات ثقافيّة، توالت عليها أحداث الزّمن مع مَنْ يرافقها مِنْ مُتَرصّدي الظّروف الطارئة، والانتهازيّين، أو ربّما الدّاعين

إلى التّطوّر، لا في مفهومه السّويّ، أيْ نشدان الأفضل، بل في نزعته الاتّباعيّة، السّاعية بأصحابها إلى امتطاء السّائد من »التقليعات«، لمجرّد التّباهي بارتداء أزياء الحداثة، والتّبرّج بألوانها البرّاقة.
فمن قائلٍ إنّ أفضل السّبل لتعليم اللغة، هي المقاربة الألسنيّة، الّتي تتيح للمتعلّم أن يكتشف مكوّنات النصّ ومدلولاتها، إلى قائلٍ بأنّ النّشاطات الشفهيّة، والوسائل السمعيّة البصريّة، كفيلة بأن توفّر للمتعلّم ما يحتاج إليه للاكتساب، إلى مُرَوِّجٍ لفكرة التّعلّم بواسطة اللّعب، تحقيقًا للأهداف التربويّة المتوخّاة، إلى عاملٍ على اعتماد الوسائل الحديثة لتعلّم اللغة، عن طريق «الكومبيوتر» و«الانترنت»، إلى ما هنالك من محاولاتٍ، لا تعدو كونها نماذج مظهريّة، تخلو ممّا يساعد على دخول صميم اللغة لاكتناه جوهرها. إنّها محاولات عارضة، قد تفيد جوّ التعلّم، إذ منها تتشكّل أُطُرُ الوضعيّات التّعلّميّة المختلفة، لكنّها تظلّ بعيدة كلّ البعد عن الدّور الفعّال، الّذي ينسبه إليها غُلاة التحديث، وهي حتمًا، أساليب قاصرة عن الترقّي بالمتعلّم، إلى مستوى الكفاية في التّعبير اللغويّ السّليم، شفهيًا وكتابيًا.
ولا يتبادرنّ إلى الأذهان أنّني تقليديّ النظرة إلى أمور التربيّة والتعليم، أو أنّني رفضيّ الموقف في ما يتعلّق بالجديد من منجزات العصر. لا. كلاّ... وإنّما مَثَلي هو مَثَلُ مَن يأخذ من كلّ جديد مسافةً لإنعام النّظر فيه، وتحكيمِ العقل النّاقد في ما يحتويه، ويقودُ إليه، واختيارِ ما يصحُّ اختياره، لقبوله والسّير به، واستبعادِ ما لا ينسجم ومبادئ الصّواب، حرصًا على سلامة النتائج...
إنّ لتعلّم اللغة شروطًا أساسيّة، ليس من الحكمة إغفالها أو تجاوزها، إلى ما يُدّعى أنّه أكثر عصريّة وجِدّة، وبالتّالي أوفر تحقيقًا لغايات التّعلّم. فليس كلّ جديد جيّدًا، وليس كلّ قديم سيّئًا. ثمّ إنّ لكلّ مقام مقالاً.
من شروط اكتساب اللغة، التّشرّب وله خططه. والاكتشاف وله شبكته. والتمثّل وله حالاته. والتّوظيف والتّأليف ولكلٍّ منهما تمارينه، وأخيرًا الإبداع وله كفايته. كلّ ذلك في حالٍ من التّفاعل الكيانيّ التّامّ بين المتعلّم والنصّ، مسموعًا أو مكتوبًا على الورق، وأقصد النّصّ الرّاقي أيًّا يكن نمطه أو نوعه. ولا بدّ من أن يرافق التّفاعل الكيانيّ، سعي حثيث إلى تحصيل المعارف النّظريّة، اللغويّة والثّقافيّة على اختلافها. ولكن، إذا كانت المعارف تلك، ممكنة التّحصيل بواسطة اللّعب، ووسائل التّعلّم المستجدّة، والّتي تسهّل على كلّ من المعلّم والمتعلّم مهمّته، فإنّ لتعلّم اللغة شأنًا آخر، ذلك أنّ مسالك الفكر لا تُحصى، وبالتّالي فإنّ طرائق التّعبير، وصيغ الكلام، وأبعاده، وأساليبه، متعدّدة ومتشعبّة، بل متداخلة إلى حدٍّ لا نستطيع معه حصرها في حيّز معيّن، أو إخضاعها لمفاهيم علميّة جامدة، تُناقض طبيعة الحياة نفسها. وقد تكون تلك المفاهيم العلميّة نافعة في مجال المادّة، لكنّها دون شكّ فاشلة في مجال الفكر. فنتاج الفكر لا يؤطّر ولا ترسم له حدود مسبقة، ويستحيل أن تتحكّم فيه أدوات العلم، مهما بلغت من التطّور «التكنولوجيّ»، لأنّ العقل البشريّ متّصل بالعقل الكلّيّ خارج نطاق المادّة.

راجت في القرن التّاسع عشر نظريّة العلماويّة "Le Scientisme"، وقد توهّم أصحابها بل أدّعوا أنّ العلم قادر على إيجاد الحلول لجميع المعضلات، وتحليل المبهمات، وكشف أسرار الوجود، سواء ما تعلّق منها بالمادّة، أو ما كان من طبيعة الرّوح. ولكن خاب فألهم؛ وها إنّ دعاة المادّيّة في عصرنا الرّاهن، يُراهنون على النظريّة نفسها، وإن بإخراج متميّز، وأهدافٍ أخرى.
وإذا كانت الغاية من تعلّم اللغة، كنسيج فكريّ كتابيّ، أيًّا يكن نوع الكتابة، هو القدرة على اكتساب مهارات التّعبير، وكفاية التّأليف، في مختلف الوضعيّات والأنماط، فإنّ السّبيل إلى ذلك ليس مطلقًا تطبيق شبكات الإحصاء اللّفظيّ على النّصوص، واعتبار المتعلّم مجرّد أداة، لا وظيفة له غير تفكيك الكلام المكتوب، والاستدلال على الجواب الصّحيح، وغالبًا ما يكون «بالصِّدفة»، بعد استعراض أجوبة محتملة ومتعدّدة، غالبًا ما تضلّل المتعلّم. وهذا على نقيض المفاهيم التربويّة الصحيحة، الّتي تحذّر من عرض المعلومات الخاطئة. فكيف بها إذا وردت في إطار تقويميّ لا يساعد إلاّ على تسطيح عمليّة التّفكير، بل على تعطيلها.

أمّا الأجوبة فهي [نعم] أو [لا] أو علامة صواب [✓]، دون بذل أيّ جهد للتّعبير الشّخصيّ، وصياغة الفكرة صياغة لغويّة سليمة، ذات تشعبّات متعدّدة، هي من خصوصيّة الفكر الإنسانيّ. فكيف يُدّعى إذن أنّ الهدف الأساسيّ والأخير، هو تنمية الكفاية لدى المتعلّم؟ أليست الكفاية هي القدرة على التّصرّف في الكلام تصرفًا صحيحًا وراقيًا، وفق قواعد اللغة وأصولها، ووفق المطلوب، وبحسب الحاجات والحالات والمواقف؟!
أليست الكفاية هي استخدام الكلام وأغناؤه بالجديد المبتكر، من الصّيغ والدّلالات والصّور الفنيّة، فضلاً عن كيفيّة توظيف المكتسبات اللغويّة على اختلافها، توظيفًا جديدًا، مطبوعًا بطابع الكاتب نفسه؟!



يقول **جبران**: «إنّ اللغة مظهر من مظاهر الابتكار في مجموع الأمّة. فإذا هجعت قوّة الابتكار، توقّفت اللغة عن مسيرها. وفي الوقوف التّقهقر وفي التقهقر الموت والاندثار».

لكنّ العولمة الحاملة معها تقنيّات الحداثة، وما يرتبط بها من آلات وأدوات وبرامج إلكترونيّة، قابلة لأن تخضع بيسر وسهولة للمراقبة، حسب ما تقتضيه غاية الحائزين أجهزة التّحكّم، قد بدأت تهدّد بوتيرة ملحّة خصوصيّة اللغة، الّتي تربط النّاس بتراثهم، وتقتل فيها القدرة على التجدّد. وممّا يدعو للقلق، أنّ ثمّة نماذج مطلقة للتّعليم، أو على الأصحّ نهائيّة، لا مجال لمناقشتها، بسبب من شرعيّة ذات طابع عالميّ، أضفيت عليها. فماذا يعني مثلاً، أنْ يُطرح على الطّالب عدد من الأجوبة، وما عليه سوى أن يختار أحدها؟ ألا يعني ذلك أنّ المُولج بالأمر، يفرض مضمون الجواب وصيغته، فيما يُحرم الطّالب من صياغة الفكرة، بأسلوب الكلام الّذي يريده، فضلاً عن محتوى الجواب؟! أليس هذا مُنتهى التّحكّم بالعقل البشريّ؟! ألا يعتبر ذلك تمهيدًا لديكتاتوريّة جديدة سيقوم سادة هذا العالم بممارستها ذات يوم، وإخضاع الشعوب لها وفق ما يرَوْنه مُلبّيًا لحاجاتهم، مُستجيبًا لمطامعهم؟! أهكذا تُقوّم الكفاية الحقّة؟! أين احترام خصوصيّة التّفكير، الّتي تتيح للإبداع أن يسلك مسالك التّطوّر الحضاريّ؟! إلاّ إذا كان ما يحاك في هذا العصر، هو نقيض الحضارات في المفهوم الأخلاقيّ، الأمر الّذي دعا بعض فلاسفة اللغة في العالم اليوم، إلى دقّ ناقوس الخطر، تحذيرًا ممّا يُدبّر ضدّ البشريّة، ألا وهو حصر اللغة في ما لا يتعدّى الحاجات المباشرة لدى النّاشئة، بغية تقليص حدود استيعاب مظاهر الوجود وأسراره، وتحجيم قدرات التّعبير اللغويّ، منعًا للتّواصل عن غير طريق »الانترنيت« الموجّه، ممّا يؤدّي إلى إخفاق أو إلغاء الإبداع الفكريّ والأدبيّ الّذي هو في أساس تطوّر الحضارة الإنسانيّة وترقّيها؟

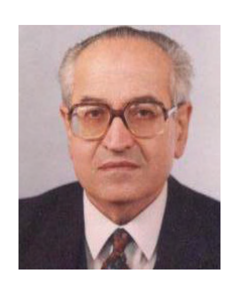


يقول «**هايدغر**» الفيلسوف الألمانيّ: يتصرّف الإنسان، كما لو كان مُبدعًا للّغة سيّدًا عليها، في حين أنّ اللغة على العكس من ذلك تمامًا، هي الّتي تعلّم بالمعنى اللفظيّ للكلمة، والإنسان لا يتعلّم، إلاّ استجابة للّغة، عندما يُصغي إلى ما تقوله، ويُنصت إليها.

ألا فلنعد إلى طبيعة اللغة، نستقرئ قوانينها، ونعمل على تطبيقها، بدلاً من التّلاعب بها وتغيير »جيناتها«. وإلاّ كان مصيرها مصير الطّبيعة الّتي جرى استغلالها، والتّصرّف بأسس تكوينها، واستنفاد طاقاتها، «لغاية في نفس يعقوب»، حتّى بتنا نخشى أن تتحوّل إلى مسخ، سوف يرتدّ علينا يومًا، ويهدّد حضورنا في التّاريخ. ألا فلنستنطق أنفسنا بجدّيّة وتجرّد، قبل أن يسبق السّيفُ العَذَل.

ولعلّ أهمّ ما يحقّق لنا وللمتعلّم أهدافَ التعلّم الحقيقيّ، أي غير المزيّف في المجال اللغويّ، هو تطبيق منهجيّة بيداغوجيا الخطأ، حيث يرى المتعلّم نفسه في مرآة إنتاجه؛ هكذا يكتشف، وهكذا يتدرّب تقنيًّا على استخدام مختلف وجوه الكلام وأساليبه. هكذا يتمكّن من التّصرّف في البنى الصّرفيّة والتّركيبيّة، وهكذا يصبح قادرًا على تمييز الخطأ من الصّواب. هكذا نبلغ بالمتعلّم إلى مستوى الكفاية ذاتيّةً وموضوعيّة، فينشأ جيلٌ واعد، واثق بنفسه وبغده، لا يُخشى عليه من الضّياع أو من اللاانتماء.





جان كميد

من أدب المراسلة

في كتابي «سياحات مع الأدباء والشعراء والفنّانين» مقال بعنوان «روعة الديباجة في أسلوب كرم ملحم كرم»، وهو في الأصل مداخلة كانت لي من ضمن الندوات التي أقيمت لذكرى هذا الأديب الكبير في جامعة سيّدة اللويزة، وقد ألقيتها في فرع الجامعة بدير القمر حيث جرى قسم من المداخلات، ونشرتها من ثمّ مجلّة «الحوادث» وجريدة «البيرق» لصاحبها نجل صاحب الذكرى النقيب المرحوم ملحم كرم.

في هذه الكلمة أوردت العبارة التالية: «كرم ملحم كرم.. قرأته أسبوعيًا في مجلّته «ألف ليلة وليلة»، فعرفت من خلالها كيف تكون الصياغة البيانيّة في الأدب، وأدركت أنّ الحبك المتكوكب على بعضه في العبارات على طريقة أمين نخلة مثلاً ليس ضروريًا للكتابة الأنيقة. فأسلوب كرم من النوع المرسَل، ليس محبوكًا حبكًا، ومنضّدًا تنضيدًا ومصمّمًا تصميمًا هندسيًا، ولكنّه لا يقلّ عن ذلك حُسن وقوع في الذّوق».

كان فحوى هذه الكلمة واضحًا، وهو أنّ أسلوب أمين نخلة وأضرابه، وإن كان أسلوبًا فنّيًا رفيعًا من حيث صياغته وأناقته، ليس الأسلوب الوحيد الذي يرتفع إلى هذه القيمة الأدبيّة، بل يزدوج مع أسلوب آخر، أو ربّما أساليب أخرى تختلف عنه، ولكنّها تجاريه في رقيّه وجماليّته، وليس في هذا ما ينتقص من أسلوب أمين نخلة أو يغضّ من شأنه.

ولكنّ عدد مجلّة «الحوادث» المذكور وصل إلى الأديب والشاعر العراقيّ الصديق حارث طه الراوي المقيم حاليًا في أبو ظبي، فأرسل لي رسالة عتب على قولي هذا، معتبرًا أنّني نلت من أسلوب أمين نخلة وكأنّني فضّلت أسلوب كرم ملحم كرم عليه، في حين أنّني اعتبرتهما أسلوبين مختلفَين يتساويان في رفعة أدائهما وبيانهما.

قال الصديق حارث، وهو كان من المساهمين العراقيّين في الكتابة بمجلّتي «الرسالة»، التي صدرت في الخمسينات من القرن الماضي: «أنصفتَ في مقالك بـ«الحوادث» أستاذنا وصديقنا القديم الأديب الأديب كرم ملحم كرم الذي يستحقّ الإنصاف لأنّه أديب الإنصاف، أمّا أن تختم إنصافات له بالنيل من أسلوب أديب العرب وشاعرهم الخالد صديق عمرنا أمين نخلة بقولك: (وهنا أورد عبارتي المتقدّمة الذكر) فهذا لا يجوز. «فغمزك هذا لأسلوب أمين نخلة تردُّ عليه قصيدتي المنصفة الخالدة في تحيّته بُعيدَ الاحتفال به سنة ١٩٧٣، فاقرأها بهدوء، وتأمّلها أكثر من مرّة لتزداد يقينًا بأنّ الإنصاف إذا عانق الإبداع يصنع العجائب، وأنّ الوفاء إذا جال وصال يصنع المعجزات»، وأرفق رسالته بنسخة من قصيدته المذكورة.

استغربت أن يفهمني حارث الراوي على هذه الصورة المغايرة لقصدي من كلامي عن كرم ملحم كرم، فأرسلت إليه جوابًا أقول له فيه إنّني، تدليلاً على إعجابي الفائق بأسلوب أمين نخلة، قد فضّلته في دراسة مقارنة على أسلوب سعيد عقل النثريّ الذي ارتفع به إلى ذروة سامقة، ومع ذلك لم يعتب عليّ سعيد على هذا التفضيل الصريح، بل منحني جائزته على هذه الدراسة المقارنة وهو الذي يوافقني على رأيي بقوله مرّة أمامي وأمام جمهور من الحاضرين: «إنّ أمين نخلة يكتب نثرًا عربيًا أحلى منّي».

واستطردت في رسالتي أقول: «وفي كلمته يوم منحني جائزته قال سعيد عقل: «إنّ جان كميد أمين نخلة آخر، لأنّه يكتب بأناقة ويقدّر الكلمة الأنيقة». وهذه شهادة إضافية، ومن فم سعيد عقل، على أنّني قدّرت الكلمة الأنيقة عند أمين نخلة وفضّلتها على غيرها من الكلمات المؤنقات».

بعد هذه الرسالة الجوابيّة تلقّيت من الصديق حارث رسالة تفيض بالمحبّة والشوق ومشاعر الصداقة لن يتطرّق فيها إلى الموضوع الذي كان سبب النقاش، بل استهلّها بقوله: «هبطت عليّ رسالتك الغرّاء كما يهبط الغيث المنعش، فسبّبت لي هدنة منقذة ومنعشة في صراعي مع الوحشة والانفراد في هذا المنفى. فلا سائل يسأل عنّي أنا الذي نذرت حياتي للقلم منذ ٦٣ سنة، ووقفت مع عمر أبي ريشة على منبر واحد عندكم في لبنان في ٢٢ أيلول ١٩٥٤ في أمسية شعريّة خالدة في فندق بيت مري الكبير أثناء مؤتمر الأدباء العرب الأوّل».

هذه المساجلة الأدبيّة، رغم ما اعتورها من سوء تفاهم زال الحُسن الحظّ، كان لها حسَنة بأنّها دفعت الأخ حارث طه الراوي إلى الكتابة لي وتعريفي بمكان وجوده، أنا الذي انقطعت عنّي أخباره منذ توقُّف مجلّتي «الرسالة» عن الصدور في العام ١٩٥٨، وكنت دائمًا أفكّر به وأتساءل في نفسي عن مصيره ومصير الأخوة الأدباء والشعراء العراقيّين في المأساة التي يتخبّط فيها العراق اليوم، وهم الذين كانت لي ببعضهم معرفة شخصيّة، والباقون كانت لي معهم مراسلات يوافونني عبرها بقصائدهم ومقالاتهم، إذ كانت «الرسالة» منبرًا رحبًا لهم حتّى أَربى عددهم على عدد الأدباء والشعراء من البلدان العربيّة الأخرى الذين كانوا يوافون «الرسالة» بنفثات أقلامهم.

والصديق حارث، الأديب والشاعر والمحامي، كان من الذين عرفتهم شخصيًا، وذلك في بيروت، في «دار ريحاني للطباعة والنشر»، أي عند الصديق الكبير المرحوم ألبرت الريحاني، أبي «أمين الثاني» الذي ورثتُ صداقته عن والده منذ كان يافعًا، ولا زلت أحتفظ بباكورته الأدبيّة التي أهداها إليّ وهو بعد في الطريّ من العود، وقد ذكره حارث طه الراوي في رسالتيه طالبًا منّي التسليم عليه وحده دون سائر أدباء لبنان، فقال: في الرسالة الأولى: «لا أسلّم على أحد في لبنان بعد أن أجمعوا على مقاطعة عاشق لبنان وسفير الأدب اللبنانيّ والمنصف الأكبر لأدباء الجبل الأشمّ حارث طه الراوي، ما عدا الدكتور أمين ألبرت الريحاني».

وفي الرسالة الثانية: «أرجو إبلاغ الصديق الأعزّ الدكتور أمين ألبرت الريحاني أصدق تحيّاتي بالرّغم من صمته الذي يباري عمري الطويل».

أطال الله عمريكما معًا يا حارث ويا أمين.



جوزف أبي ضاهر

مارون كرم
دخل حياةً إلى الكتاب



كان يتهيّأ للرحيل. وصلني صوته كما لهاث الضباب، يقطّب الشوق كلامه قطعة واحدة، لا ينفكّ منها ظِلُّ حرف.

آخر مرّة تحادثنا من البعيد إلى البعيد، لمحت الحور ينحني في نغم الصوت. تعب الشاعر، لا بل تعب الجسد. بانت من فتحات الأصابع أبيات قصيدة على أطرافها المناديل.

ما عدنا تحادثنا، أخافني المشهد قبل أن ألمحه، يتصدّر كلّ صور الأمس والوقفات، ولقاءات تفيّا الشعر فيها تحت قبّة المفاجأة.

***

كانت «شمس» مارون كرم، تزيد الحضور دفئًا، وما لفحته بحرٍّ ولا حرقت.

قامته المتسنبلة بالعطاءات تنده لتعطي، لتضيف. ما طمعت بغير حقّ، ولا سمعت نميمة غيرة وحسد.

سكن ذاته مع قصيدة، لا تشبّهًا بأحدٍ، ولا كرمى إلاّ لها. الكلمة التي أتت إليه موشّاةً بالنغم، سهّل لها الدّرب إلى القلوب، من دون أن ينسى أنّ العقل يترصّده، يراقبه، وما جعله ينفر. أرضى العاطفة إلى حدّ الحماسة بتكامل بين الكلمة والنغم والصوت، فكانت الأغنية هي الشاعر، وتوزّعت بين النّاس، ومن لم تطل قلبه طالت شفتيه... والمناسبة.

سكب شعره انسكابَ نبعٍ غزيرٍ، طيبٍ حتّى الارتواء.

***

بين الشعر الآتي إلى الكتاب، والشعر الآتي إلى الصوت نقاط حبر.

في الأوّل تورق لتثمر وتَعد، والغلال على قدر احتواء كفِّ الزارع وفكره.

وفي الثاني تنزل تحت مظّلة الفصول مطرّزة بالغمام الملوّن، بعضها يَعد، وبعضها يَمرُّ مطيّبًا، ومحرّكًا أجنحة العصافير... وكان مارون صديق العصافير. ما ترك شبّاكًا إلاّ وحطّ، معهم، فوقه، وما غفل بنفسجة إلاّ وضمّخ ريشه بعطرها... وغمرت الطيوب الوقت، فارتاح إليها.

***

أدرك مارون كرم أنّ شاعر الأغنية يُشعل الضوء ليُسْكِنَ الصوت فيه، وليُسْكِنَ العاشق، والجندي، والوطن، والأعياد، وعلامات الحبّ، ويظلّ هو خلف الضوء فرحًا لانبهار المتلقّي بجمال الشكل فالايقاع والصوت... وما نال شاعر أغنية في الأرض ذَرّةً ممّا ناله حاملها.

صفات ثلاث كانت تقرّبني منه: نبله، محبّته وتواضعه، وهي في نبض شعره المنسكب في كؤوس بلّوريّة، قلّ أن تَجد من لم يَشرب في واحدةٍ منها.

***

ليس كلّ من مَرّ تحت العتبة الأخيرة، أخذه الغياب، لتكتمل بالسنوات التي مضت دورة حياةٍ، تبدأ ولادةً من نقطةٍ، فعيشًا، فعودةً إلى النقطة، وتكون جفّت ويبست، وصار السرّ منزوع الرأس، مشدودًا إلى التراب.

الشعراء الكبار يخرجون على هذه المعادلة، وعلى كلّ المعادلات. فإذا خرج الجسد منهم إلى الغياب، ضمّتهم الحياة إلى صدرها، وأدخلتهم الكتاب.

قللي قلمي
قللي القلم ع مكتبي المهمول:
شو باك هاملني؟
بشو مشغول؟
قلمي... بيعرف كلّ أخباري
كلّ عمرو كاتم سراري
هوّي بيعرف ليش مش عمقول؟

* * *

فلّو اللي كانوا القول يوحولي
ما عاد عندن شي... يقولولي
عايش أنا ووراق أيلولي
وأيلول طرفو بالشتي مبلول...

قصيدة غير منشورة بخط مارون كرم

الأب بطرس بو ناصيف
مدير جامعة سيّدة اللويزه، فرع الشوف

حاشية الملك

«الملوكيّة» شأن عظيم. يُختار فيها الأفضل والأنقى والأحكم والأقوى لقيادة مملكة ما تسعى إلى عالم أفضل، يزهق فيه الباطل، وتنتفي التشوّفات، وتتحقّق العدالة، ويسعد الفقراء، ويسترد كلّ صاحب حقّ حقّه، فيتمرأى أبناء المملكة في مرآة الجمال والحبّ، ويعيش الإنسان ما يحلم به، ويستقرّ فيه إذ يجد في أعماقه جواباً لتساؤلاته، ويستبق الغد بالحاضر، فتموت التمنيّات ويظهر الواقع أغلى وأغنى منها. نعم إنّها المملكة بمبادئها؛ والممالك عديدة متعدّدة: من ممالك الدول، إلى ممالك المجتمعات، وممالك المؤسّسات، وممالك المجموعات الصغيرة فغيرها وغيرها.

ولكن، عندما ينسى الملك أنّ مملكته أعطيت له من فوق، ويظنّ أنّه الحاكم، والرعيّة له، عندها تصبح الرعيّة بلا راعٍ، وتتحوّل أبواق المجد إلى زمامير للإزعاج، فيتولّى المملكة ملوك الأسماء الفارغة، وتسرق أموال الفقراء بحجّة إغناء مملكته هذه، وتزداد أموال الأغنياء بحجّة أنّ هذا من حقّهم، مبرّرين موقفهم على أنّهم يجب أن يكونوا مضيافين وبورجوازيّين بوجوههم المشرقة الباشّة والتي تفاخر أمام الغرباء، وتتباهى... وأيّ وجه هو هذا!؟ هذا الذي يظنّ أنّ المال هو مسحوق جماله، وكحل عينيه، وزينة دماغه، وتوجّهات لسانه! يختار الملك للقيادة أهواءه، وليس المستحقّين من أبناء رعيّته. يأتي بابنه أميراً، وبابن أخيه مديرًا، وبسيّدٍ من قرية نشأ فيها ليسلّطه على بيته، ولابن زوجة امرأة خال أمّه ليكون منظّمًا، فتصبح النيّات أحكاماً، والكذب قناعاتٍ، والسرقة موهبةً، والشعر فراغاً، والكاتب طاهياً، والزانية كاهناً، ويختلط وكما يقول المثل «الحابل بالنابل»، وتبكي السماء على هدرٍ لا يوقفه إلاّ وصول ملك جديد لا يعرف إلاّ الحقيقة مسلكاً، والحبّ طريقاً، والحياة غايةً. لذلك، فالحاشية هي خطأ الملك.

لكلّ مملكة حاشيتها، والحاشية هي ممالك موسميّة، تأتي بحسب حاجة الملك وتصوّراته. فتستمدّ من وحيه حقيقتها ومعناها، كما يستمدّ القمر نوره من الشمس. وتعيش بواقع ليس واقعها، وحقيقة لا تدرك مداها. تسير من دون أن تعرف لماذا؟ وتفكّر بما يهوى ملكها، وتضحك ملء شدقها عندما يتثاءب ويبتسم. فإن فكّر هو، تعب رأسها هي وإن بكى هو، انهمرت دموعها هي. وإن أكل هو، هضمت الأكل هي. وإن نعس هو، نامت هي.. آمنةً مطمئنّةً. وإن نظر هو، ارتاحت لنظرته هي. أمّا إن وقف فهي رجلاه، وإن جلس فهي سريره المريح، وإن مرض فهي ميزان حرارته... غريبة هي هذه الحاشية التي يظنّها الناظر إليها عظيمة بارعة، وهي في الحقيقة هشّة بهشاشة ملكها! وهل يَنسى أحدٌ أنّه إن بقي هو بقيت هي، وإن مات هو ماتت هي بموته؟!

حاشية الملك هي وجهه، المطلّ كلّ يوم على شعبه، فليس من ملك يختلف عن حاشيته، لأنّه يختارها هو من قناعاته، ويسيّرها على خطواته، ويخضعها لأحكامه. -وهنا أحبّ أن ألفت نظر من استطاع بطول أناته أن يبلغ هذه النقطة من القراءة، بأنّ النظام هو ملك للملك، وليس العكس، لأنّ النظام لا يأتي على قياس الأفراد وأهوائهم، إنّما هو يعكس حقيقة يحبّها الجميع ويسعون إليها. حاشية الملك تدعو إلى الغرابة. إنّها تخاف الحقيقة، مع أنّه من المفروض أن تكون هي حاملة رايتها ومدعوّة إلى إبرازها. والأغرب من ذلك كلّه أنّها لا تدرك أبدا أنّ الملك قد يخطئ، أو قد يتصرّف بما لا يعرف...

وفي الحاشية هناك نوع يفوق الآخرين دهاءً وحكمة، وهو الذي يمسك بالمملكة بيد من حديد، ويديرها من بعيد، فيضمن عمله هذا بتقديم كامل وسائل الراحة والهدوء للملك؛ فيفكّر عنه، ويقرّر عنه، ويسعى، ويحاضر، ويناقش عنه. وهذا النوع من الحاشية، نستطيع أن نسمّيه «ذكاء المملكة أو فكرها». ولكنّ شعار هذا النوع من الأذكياء هو «عاش الملك، مات الملك». هؤلاء يهلّلون للآتي، ويودّعون الذاهب، فلا يستطيع الذاهب أن يقول شيئاً، لأنّ أسراره في عهدتهم، وكم هو مخيف الكلام الذي يخرج الظلمة إلى النور، ويظهر مخفيّات السنين على أطباق من الألسنة! ولا يستطيع الآتي أن يستغني عن خدماتهم، لأنّه يحتاجهم، وكلّ مملكة تحتاج إلى أذكياء، يموتون وأفكارهم من أجل حياة الملك، من دون أن ننسى أن خطأ الأذكياء هؤلاء هو ضعف ملكهم، وليس تعبهم الذي هو حقّهم. وبرأيي، بارك الله هذا النوع من الأذكياء، لأنّهم يزرعون الكثير فيحصد الملك زرعهم. وإذا أتى ملك لديه اليسير من الذكاء، فإنّه يعزلهم، فيظهر غيابهم على صفحات كتب الماضي وقد خطّوها بدمائهم من أجل هذا الملك، فيقطف هو ثمار أتعابهم، وهم هم يغيبون في عالم النسيان.

قصّة حاشية الملك قديمة وجديدة أبدًا، لن تتغيّر ولن تفنى مع الزمن. فلكلّ ملك حاشيته بطريقة أو بأخرى، وهذه هي سنّة الحياة. ولكن، كما أنّ للحياة سننها، فلها أخلاقها أيضًا، ولا سنن من دون أخلاق. لذلك، لا بدّ من أن تتمتّع كلّ حاشية بأخلاق تشهد لمعنى سلطتها، وصدق تبعيّتها، وأمانة انتمائها. وأفضل أخلاقيّة يمكننا أن نمارسها بقناعة ووعي هي التي تنبع من روح الكتاب المقدّس، حيث يتجلّى الاستسلام صليبًا وقيامة، واتّباع الحقيقة غاية، والسجود للعزّة السماويّة واجباً وقناعة، والطاعة للسماء حريّة، والسلطة خدمة، والحبّ طهرًا، والمغفرة واجبًا، والحنان أبوّة، والقبول أمومة، والسعادة عطاء... لذلك، لا يمكن أن تكون الحاشية غنيمة تتقاسمها الأنفس والأماكن والأشخاص، ولا يمكن أن تكون سبيلاً لبلوغ المجد، إنّما وسيلة لخدمة الحقيقة والسجود للحياة.

فمع حاشية الملك أصلّي:
يا ربّ هبني أن أكون خادمًا لا مخدومًا.
أعطني أن أسجد للحقيقة لا للأشخاص.
علّمني أن الحبّ خدمة وليس تسلّطاً.
ذكّرني بأنّي خادمٌ للزّمن ولست سيّدًا عليه، لأنّي أنا السائح وهو الثابت.
أنقذني من أن أكون مادحًا، وقوّني لأن لا أكون عاشقاً للمدح.
ساعدني لأرى الغد وبعد غد، من دون أن أنسى البارحة، فأعيش كلّ يوم وكأنّه تصحيح ليوم مضى، واستعداد ليوم أفضل آت.
رسّخ فيّ الحقيقة، لأنّي قريب ممّن يحتاجها، ولأنّي الوحيد القادر على إظهارها، وأنا عالم بأنّ الحبّ يستر جمّا من الخطايا.
دعني أفهم بأنّ أسرار الآخرين هي أمانة عظيمة أعطيتنيها لأحافظ عليها، وليست وسيلة لبلوغ مآربي، وتحقيق أحلامي.
أفهمني أنّ الكبير هو الذي يعرف أن يكون صغيرًا.

أرني يا ربّ نوافذ مفتوحة أدخل من خلالها إلى غرف النفوس، إذا كانت أبواب قلوبها مقفلة.
نجّني من ذاتي، فلا أملك على الملوك، ولا أستعبد العبيد، خاصّة إذا كنت عبدًا.
إجعل من شخصيّتي وسيلة لبلوغ إرادتك، وليس طريقًا من أجل تحقيق أحلامي، وفرض عقوباتي من بعيد.
درّبني على معرفة حدودي، فلا تقودَني أحلامي الكبيرة في طرقات ضيّقة، ولا تكونَ مآربي الصغيرة سدّا منيعاً في وجه أمواج الحبّ الدافقة.

أيقظ قلبي فينظرَ في أمور الحياة وواقعها بموضوعيّة تستطيع أن تريَه في كلّ حدث وجهتين: الوجهة الخاصّة ونظرة الآخر، فلا يفكّر ولا يحلّل ما لم يفهمه أوّلاً.
لتكن يا ربّ إرادتك سعادتي، وحبّك مالي، وأمانتك هوّيّتي، وجمالك سيّدي، وتواضعك سرّي، وصليبك قوّتي، وقدرتك قيامتي، وغفرانك سعيي، ودمك مشربي، وجسدك حياتي، وحضورك حضوري، ووعودك بشارتي... فأكونَ ملكًا في حاشية الملك، وتكونَ ملوكيّتي استحقاقًا، وحبّةَ حنطةٍ تجعل حياتي وعداً لخبز يُشبع الجميع، ويُشبعني. لأنّني أعرف يا ربّ أنّ في هذه الحياة مكانًا للجميع، وحبّا للجميع، وكرامةً للجميع، وحياةً للجميع، وأعرف أيضًا أنّ الجوع، والضيق واللاأمل، والتعب، هي نتيجة لواقع يكشف أنّ الجميع يسلب ما للجميع، فلا يحيا الجميع. آمين.





وأختم مقالتي هذه بما قاله لي في الماضي رجل حكيم من قريتي شارحاً لرجل يفكّر من دون أن يعرف لماذا، ويسعى من دون أن يعرف كيف، ويحيا من دون أن يدري بذلك:

كان أحد الفرسان يومًا ذاهبًا في رحلة صيد. رأى من بعيد غزالاً، فلكزَ حصانه ولاحقه ليصطاده. فركض الغزال هاربًا، وتبعه الفارس على فرسه، ومن بعدهما ركض كلب الفارس مطاردًا. وبعد معاناة كبيرة وصل فيها الغزال إلى مرحلة لا يمكنه معها المتابعة، سقط أرضًا. ولمّا وصل الفارس بقربه، وقع الحصان أرضًا أيضًا من شدّة التعب. وبعد مدّة وجيزة وصل الكلب مرهقًا، فوقع هو أيضًا من شدّة الجهاد.
فوقف عندها الفارس قائلاً:
فأنت أيّها الغزال، إنّك تهرب منّي؛ لذلك تعبت، فسقطت.
وأنت أيّها الحصان تعرف أنّك خادمي الأمين، ومصدر قوّتي، وقد جاهدت معي ومن أجلي لبلوغ الغزال فسقطت تعبًا أيضًا.
أمّا أنت أيّها الكلب الغبيّ، فما حاجتك إلى ما قمت به.
حاشية الملك هي تجربة كلّ يوم.



المحامي
طانيوس نعيم رزق

شكرًا لله
العذراء لم تدرس لاهوتهم

في بدء الأزمنة «خلق الله الانسان على صورته ومثاله». وعلى أبواب نهايتها حدّد بعض اللاهوتيّين الله على مثالهم وبحجم أفكارهم. فتقمّصوا شخصيّة المسيح وراحوا يستنبطون من الانجيل «الرموز» التي يعتقدونها خفيّة على سواهم ويؤوّلونها ويبدّلونها ليقدّموها لوحة لامعة لاباحات مغرية ودروسًا حديثة «للمؤمنين الساذجين» السائرين على خطى الكنيسة وتعاليم لاهوتيّيها «الذين انقضى زمانهم» وفي مقدّمتهم المدعوّ «توما الأكوينيّ»، وعلى رؤى القدّيسين الذين تكلّموا عن رؤية جهنم والأنفس المحترقة بالنار، ففسّروا لهم الرؤيا بأنّها «كوابيس».

وممّا تناهى إلى اطّلاعنا المتواضع من لاهوت نهاية القرن العشرين هذا، أنّ عدد الملائكة ثلاثة فقط: ميخائيل، وروفائيل وجبرائيل. وبالمقابل لا وجود للشياطين، توصّلاً إلى ابتداع أن «جهنم النار هي حالة نفسيّة وتصوّر أفكار، وليست مكانًا لعقاب وعذاب الأشرار». ولو اقتصر الأمر على هذه «الاكتشافات» النورانيّة، لخشي هؤلاء اللاهوتيّون أن يجادلهم بسطاء القلوب ويقولوا لهم: « بهذه الانجازات تكونون فقط قد حللتم محلّ المسيح»، وصحّحتم معلوماته القديمة و«تصوّراته» عندما قال «النار المؤبّدة المعدّة للشيطان وملائكته» (متّى ٤١/٢٥) و«يرسل ملائكته يجمعون المختارين من الرياح الأربع» (متّى ٣١/٢٤)، بل بصورة خاصّة عندما قال لحظة إلقاء القبض عليه: «أوتظن أن ليس في وسعي الاستعانة بأبي، فيمدّني الساعة بأكثر من اثنتي عشرة كتيبة من الملائكة» (متّى ٢٦: ٥٣). فيجيبهم هؤلاء اللاهوتيّون التأويليّون بما معناه: «عندما لفظ المسيح هذا الكلام الأخير كان تحت وطأة مواجهة الموت. ويقول علماء النفس: في مواجهة الموت يتلفّظ المرء بكلمات دون معناها الحقيقيّ. وقياسًا يقول علماء القانون: تصرّفات مرض الموت غير ملزمة». ويتابعون ليُفحموا بسطاء القلوب: «إطمئنّوا لم نقتصر على تصحيح معلومات المسيح»، بل «نقضنا حكمه» في الدينونة إذ دعمنا الله الآب وقدّمنا له هذا الاجتهاد: بما أنّك أب لجميع الناس، وأنّك رحوم للغاية، فهل يصحّ أن يقول «ابنك هذا، المسيح بأنّك تلقي أبناءك العاقّين الأشرار، في النار؟ وهل تسمح له بأن يقول «السماء والأرض تزولان وحرف واحد من كلامي لن يزول» (متّى ٣٥/٢٤) ليحرمنا من موهبة التأويل والتحريف؟
حينئذ، ينتظر هؤلاء اللاهوتيّون أن يقول لهم الله الآب:
«تعالوا إليّ يا مباركي جبلتي الترابيّة الكاملة الضابطة الكلّ، وعلّموا ابني كيف يتكلّم وكيف يعلّم». ويتابع الله الآب: «آه لو كنت أعلم هذا الاجتهاد العظيم، ولو كنت أعرف أنّني أب رحوم إلى هذا الحدّ الذي كشفتموه لي، لما كنت أرسلت ابني الوحيد ليتألّم ويموت هذه الميتة الشنيعة من أجل خلاص «أبنائي البررة الطاهرين المعصومين الذين لا تُحسب لهم خطاياهم ولا جحودهم ولا تجبّرهم ولا تطاولهم عليّ ولا... ولا... ولا..». ويتنهّد الله الآب ويقول: «أنا سعيد لأنّني خلقت أمثالكم لتعلّموني ما أنا، لكنّني حزين لأنّني تأخّرت ولم أخلقكم قبل واحد وعشرين قرنًا، إذًا لكنت وفّرت على ابني الحبيب، يسوع المسيح، ذاك «التجسّد الخلاصيّ الذي لم يكن له لزوم أبدًا»، ووفّرت على نفسي التألّم معه».
ثمّ يهمس الله الآب في آذان هؤلاء المعلّمين: «إنّها لنعمة عظيمة أنّ مريم العذراء لم تدرس لاهوتكم، بل شاركت في صنع اللاهوت المتداول بين بسطاء القلوب». فيجيبه هؤلاء من «وادي الدموع»: «ولماذا؟»، فيقول الله الآب «لو كانت العذراء قد درست هذا اللاهوت العشرينيّ القرن لكانت ثارت وقالت لي- رغم تواضعها لدرجة الانسحاق»: «ما معنى أن تتوجّني سلطانة الملائكة، وليس لديك إلاّ ثلاثة منهم: أحدهم رئيس، والثاني رسول، والثالث احتياط»؟!
ولكانت العذراء تصرخ بوجه البشر: «توقّفوا عن مناجاتي بصلوات وألقاب اكتشف لاهوتيّو الزمان الأخير بأنّها دون معنى، مثل: «سيّدة الخلاص، وملجأ الخطأة، وسيّدة الانتصار، وتضرّعي لأجلنا...». وتتحسّر العذراء وتقول: «آه كم تحمّلت من آلام ومعاناة عندما كنت أشعر أنّ خطايا البشر هي سيوف تمزّق قلبي المتألّم الطاهر، وآه كم كنت أشقى وأجاهد وأتحمّل مشقّات الانتقال من السماء إلى الأرض عندما يستنجد بي أبنائي البسطاء القلوب واثقين: «من كان للعذراء عبدًا لن يدركه الهلاك أبدًا». فشكرًا لكم يا لاهوتيّي الزمان الأخير لأنّكم وفّرتم لي الراحة والاطمئنان بعدما اخترعتم هذا الشعار الشيطانيّ: من كان في المعاصي متنعّمًا، صار في السماء متربّعًا».





ويطرب لاهوتيّو نهاية الأزمنة، ويتوغّلون في اكتشافاتهم التصحيحيّة ليبلغوا كمال التصحيح، ويقولون للّه الآب: «تبقى أمامنا عقبة واحدة ينبغي تذليلها أمام عامّة المؤمنين ومحوها من أذهانهم ليكتمل تعليمنا: عندما ظهرت العذراء في فاطيما، كشفت للرؤاة صورة فظيعة رهيبة هي صورة بشر يتعذّبون في النار ويقولون إنّهم في جهنم وإنّ الشياطين يتحكّمون بهم. فكيف نصحّح هذه الفكرة الرمزيّة الخياليّة ونمحوها من أفكار الناس؟».

فيقول لهم الله الآب: «أحسنتم طرح هذه المسألة. ولنجد لها الحلّ الأمثل وفقًا للمنطق البشريّ الذي تقدّسونه وتفرضونه عليّ: وأفضل طريقة للتعليم لديكم، هي المواجهة والتطبيق العمليّ. لذلك، فالحلّ الأفضل لمعالجة تلك الرؤيا التي لا تؤمنون بواقعيّتها وبحقيقتها، أن تذهبوا شخصيًا إلى ذلك المكان المسمّى جهنّم وتبشّروا الموجودين فيه بأنّ جهنّم النار غير موجودة، وأنّها مجرّد فكرة وتصوّر رمزيّ. وأحذّركم: إيّاكم أن تغادروا ذلك المكان التجريديّ «قبل أن تقنعوا جميع أبنائي الموجودين فيه بأنّ جهنّم غير موجودة، وأنّ ما يعانونه من آلام وعذابات هو مجرّد تخيّلات نفسيّة، وأن تعلّموهم كيف يتخلّصون من محنتهم وتعاستهم. وإذا تمكّن جميع أولئك المحكومين بالنار المؤبّدة أن يخلصوا، تكونون أنتم آخر من يغادر جهنّم».

ويقول الله الآب بينه وبين نفسه: «يا أبنائي المساكين، فكّروا جيّدًا وتأمّلوا مليًّا أسرار الكون والخلاص: لو أنّني أعمل بمنطقكم، هل كنتم تتصوّرون أن أخلق مليارات ومليارات النجوم والكواكب وأظلّ متحكّمًا بها وبمسارها جميعًا؟ وهل كان لكم أن تتصوّروا سرّ الأفخارستيّا وانحباس ابني في كلّ برشان العالم طوال ألفي سنة وما دام القدّاس مستمرًّا؟ ألم يقل لكم ابني: طوبى لبسطاء القلوب فإنّ لهم ملكوت السموات؟».

ويتنهّد المسيح بحسرة وتألّم لما آلت إليه تعاليمه وكلماته الواضحة الصريحة، وما يطلع به بعض علماء اللاهوت الذين يتعالون عمّا أظهره الله «لهؤلاء الأطفال الصغار أمثال تريزيا الطفل يسوع»، وما يقترفه بعض المكرّسين، فيفتح إنجيل متّى الإصحاح ٢٤ الآية ١٥ ويقول- والكلمة الأخيرة له-: «يا أبتاه، إنّها رجاسة خراب الهيكل. والآن، وقد تمّت هذه الكلمات، وحان موعد نزولي الثاني للدينونة، فلتتهيّأ طغمات الملائكة ليجمعوا المختارين من الرياح الأربع ليقفوا عند يميني، ويحصدوا زؤان الشرور والمعاصي ويطرحوها في النار المؤبّدة وفقًا لما كشفناه ليوحنّا في الرؤيا، ومن لم تكن له أذنان سامعتان لكلامي، فلتكن له عينان مبصرتان لعقابي، خصوصًا هؤلاء الذين يشكّكون أحد إخوتي الصغار».



الأب فادي بو شبل
المريميّ

علّميني يا سيّدة النجاة



بالأمس دخل الإرهابيّون إلى كنيستك أيّتها العذراء سيّدة النّجاة، ليضعوا المتفجّرات تحت مقاعد الناس المؤمنين المُصلّين؛ وكانت المجزرة في لبنان.

واليوم يتكرّر المشهد نفسه، فنرى يد الإثم تتطاول مجدّدًا، من خلال الإرهابيّين الداخلين إلى كنيستك في بغداد، ليقتلوا حوالى ستّين شخصًا ويجرحوا العديد من الناس، وأنتِ تشاهدين وتتألّمين.

هل نثور؟ هل نغضب؟ هل نتمنّى الأذى لمن يقتل الأبرياء؟ مشاعر يصعب علينا تحديدها! فما نراه يحدث مع إخوة لنا في الإيمان، يكاد العقل لا يحتمله والعين لا تبصره، لأنّ ما يحدث يمسّ كرامتنا الإنسانيّة ويجرح قلوبنا ويعذّبنا.

أمام هذا المشهد المُرعب والمؤلم، آتي إليكِ يا سيّدة النجاة لأتعلّم كيف يجب أن أتصرّف حيال ما أرى وما أسمع وما أعيش!

إسمع يا ولدي:

هل قرأت يومًا ذاك النصّ الإنجيليّ الذي يقول لي فيه سمعان الشّيخ أنّ سيفًا سيجوز في قلبي؟... هل تأمّلت يومًا في معاناتي، وأنا بقرب ابني المصلوب والمعذّب والمائت على الصليب؟... هل سمعتني أَنطق بكلمة واحدة؟... هل رأيتني مُغمىً عليّ؟...

قِف قليلاً يا ولدي وتَعَلّم من أمّك! تعلّم الصّمت واحفظ كلّ شيءٍ في قلبك وتأمّل، وتأكّد أنّ سيّد التاريخ والإنسان هو من تؤمن به ابني ومخلّصي يسوع.

قِف قليلاً وتذكّر أنّ الإنجيل يقول ثلاث مرّات أنّني كنت واقفة، وابقَ واقفًا، فأنتَ مثلي من أبناء القيامة.

لا تخف يا ولدي من الذين يقتلون الجسد ولا يستطيعون أن يقتلوا النّفس. لكن، لتكن مخافتك فقط من القادر أن يُلقي بالنّفس والجسد معًا في جهنّم (متّى ١٠/٢٨).

لا تخف يا بنيّ، أنا أعرف ألمك وحزنك وما تمرّ به! أذكّرك بأنّ «حبّة القمح إن لم تقع وتمُت في الأرض ستبقى واحدة» (يو ١٢/٢٤)، ولكن إن وقعت وماتت أعطت ثلاثين وستّين ومئة (متّى ٨/١٣).

تعلّم يا بنيّ الصّمت، فالربّ يُمهل ولا يُهمِل. ألا تعتقد أنّ دم الشهداء هو بذار الكنيسة؟... ألعلّك لم تطالع تاريخ الكنيسة كيف نَمَت وكبُرت من خلال الاضطهاد والاستشهاد؟...

لا تقلق يا حبيبَ ابني وحبيبي؛ فكلّما طُرِق المسمارُ يَنغرز أعمق، وكلّما جُرّب الإيمانُ ينجلي أقوى...

لا أستطيع يا ولدي أن لا أطلب منك البكاء والألم. ولكن، لا تبكِ «كسائر الناس الذين لا رجاء لهم» (١ تس ١٣/٤)، ولا تتألّم كالذين هم بلا إيمان، فالربّ يرى، وهو سيُكافئ كلّ إنسانٍ بحسب أعماله...

وتأكّد أنّك مهما أحبَبتَ محبّيك، فلن تحبّهم يومًا كَمَن خلقهم وافتداهم وقدّسَهم. وأريد أن أذكّرك بأمرَين ربّما يُساعدانك:

الأمر الأوّل هو أنّ السّيف الذي حذّرني سمعان الشّيخ بأنّه سينفذ إلى أعماقي لم يكن يومًا سيفًا واحدًا؛ فأنا أمّ حقيقيّة. وبمشاهدتي أنّ أحد أولادي يتألّم أو يُقتَل أو تحدث له أيّة مصيبة، فإنّ هذا السّيف ينفذ في قلبي، فأنا أحبّ أولادي حبّي لابني المعبود، لأنّهم به، بيسوع، أصبحوا أبنائي وأبناء الله.

والأمر الثاني هو أنّني بالصّمت وقفتُ أمام الصّليب، والحزنُ يعصُر قلبي. لكنّ الرجاء الذي أشعّ فيّ قوّةَ القيامة، كان يصرخ بي بأنّ النهاية لا يُمكن أن تكون على هذا الشّكل. فالليل مهما كان مُظلمًا، لا بدّ أن ينجلي مع طلوع الفجر. والجمعة العظيمة مهما كانت مؤلمة، لا بدّ أن تنتهي مع فجر القيامة.

وَحِّد يا ولدي ألمك بألمي وحزنك بحزني، وهلُمّ معي إلى فاديك وابني لنقول له معًا: نشكرك يا يسوع، لأنّك علّمتنا أن نغفر لِمَن أخطأ إلينا، ونسألك بإيمانٍ ورجاءٍ ومحبّة أن يأتي ملكوتك.

آمين.





د. منصور عيد

هذه جنّتي

في ليلةٍ تكَوْكب النورُ في أديمها، اتّصلت السماء بالأرض، حتّى صار التأمّل فيها خشوعًا، والتفكّر صلاة، والصمت همسات. والخالق في مثلها يطيب له أن يدردش مع البشر، فيجلس عند حدود المدى، ويختار من البشر من يشاء، ويتنادر ويتسلّى.

أليس في السماء أيضًا روعة حتّى الضجر، وخلود حتّى الملل، وسعادة حتّى السأم؟

بلى..

والله اختارني، في تلك الليلة، واحدًا من بين المؤمنين بملكوته، فسمعته يناديني:

– يا إنسان، مشيئتي أن أعطيك ولادة ثانية، وكينونة جديدة، وذاتًا بديلة، تحقّق من خلالها سعادتك على الأرض، فاختر ما ترغب فيه، وما تشاء.

– صرخت في الصمت: يا الله.. ما هذه النعمة؟!

ورحت أرسم الأحلام، وأُضرم الرغبات، وأُلهبُ الأشواق، وأستحضر الأسماء والبطولات والكيانات، وأقلّب صفحات التاريخ، وأضرب الزمان بالمكان: القوّة، العظمة، السلطة، المال، الثروات، المجد، الجمال..

وكنت كلّما ذكرت رغبة، ضحك ربّي منّي وخطّأني، وأراني وجوهًا قلقة، وأراني قهرًا، وظلمًا، وعنفًا، وحقدًا، وحسدًا، واحتراقًا.

فحرت في أمري، وسألته: وماذا بعد؟

فأجابني: لم تقل الحقيقة.

الحقيقة!.. وأيّة حقيقة؟!

وانهالت عليّ أنوار ذلك الليل تخبُط كياني، وتبعث في نفسي صفاء، وبهجة، وعشقًا.

وكأنّني امتلكت سرّ الجواب، فقلت: يا ربّ، أريد نفسي؛ فارتاح وجه الله في صفائه السرمدي، وقال: بركتي لك أعطي، فأنت الآن وفيّ لإرادتي، ووفيّ لنفسك.

وروح الربّ استطابت الجلوس في ذلك المدى واستمتعت بحديثي، فخاطبني صوته من جديد:

– يا إنسان، أريد أن أكافئك، وأعطيك جنّة تسعدك على الأرض، فتمنّ، واختر ما تشاء.

وعدت إلى أحلامي، أرسم لوحات من الصفاء، والألوان، والطيور، والمياه، والاخضرار، والأماليد. ورحت أعدّد جمالات ربّي في الكون.

وكنت كلّما ذكرت جنّة شاهدت في وجهه تململاً وعبوسًا.

فخاطبته حانقًا: وبعد، كيف تخيُّرني، ولا ترضى بما أختار؟

فأجابني: لم تقل الحقيقة بعد.

الحقيقة!.. وأيّة حقيقة؟!

وانهالت عليّ شلاّلات الجمال، ولفحتني أنسام الصَبا، وضمّختني أنداء العطر، وبلّلني رشْح السحر، فناديت عاليًا: لقد اخترتُ جنّتي يا ربّ.

قال: سمّها

قلت: بلدتي، بتدّين اللقش...

أشرق وجه ربّي حبورًا، وردّد دويّ رضاه في خلجات ضلوعي: أنت الآن وفيٌ لنعمتي، ولنفسك، ولجنّتك الأرضيّة، فكن سعيدًا في نعمة الوفاء.

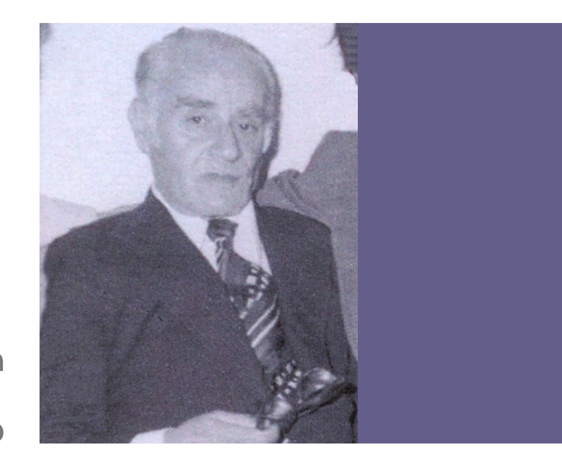
وغابت روح الله وراء أصداء المدى قهقهاتِ فرحٍ حتّى غياهب الدهر.

بتدّين اللقش...

أيّتها الطفلة المُجلببةُ بحضن الأمومة.. أيّتها الصبيّة الشقيّة، المُهَوْشلة في الطرقات، وفي الجلول وبين الكروم.. أيّتها الحلوة الساهرة بين جفون الشباب.. أيّتها المرأة المُخصِبةُ خيرًا وبركةً وأبناء.. أيّتها الجنيّة الملهمة جمالاً، وسحرًا، وإبداعًا.. أيّتها التربةُ المقدِّسةُ شوقَ الخلود.

بتدّين اللقش، يا جنّتي.. أنا وأنت نعيش زمن الوفاء.

جورج مغامس



جورج مصروعه.. نتذكّرُك
في المئويّة الأولى لمجيئك (١٩١٠-٢٠١٠)

قبل أن تبدأ حربٌ حَلّ،
وقبل أن تنتهيَ حربٌ رَحَل!

الحلولُ كان سنة 1910. والرحيل في 12 نيسان 1989.. وبينهما سلالُ غلالٍ وأغمارُ سنابل!

ابنُ عشرٍ كان لا يعرف بعد تصويرَ اسمه. وتسافر العيلة إلى هافانا. «التركو» يدرس في «كوانا باكوا». يُحمل إلى مرسيليا للتدواي من التهابٍ في غشاءِ المعدة. ثمّ تعيده جدّته إلى بيت شباب. يقرّر الذّهاب إلى المدرسة، فينتسب إلى مدرسة سيّدة الغابة للرهبنة اليسوعيّة، حيث فتح عينيه على أهميّة الثقافة على يد جبرائيل البجّاني، معلّمه بالفرنسيّة. وبعد سنتين، استحقّ التقدّمَ إلى الشهادة الابتدائيّة (السرتيفيكا) من يسوعيّة بكفيا. وانتقل من ثَمّ إلى مدرسة عينطوره، فالمعهد الفرنسيّ للحقوق. وكان أن فاز، في هذه الأثناء، بوظيفة في مصرف لبنان وسوريا، حملته للسكن في حلب؛ فتابع دراستَه بالمراسلة، ولكنْ من دون أن يفوزَ بالإجازة، بسبب قرار طرده من المعهد، لموقفٍ اتّخذه في حلب منتصرًا للأب بولس قوشقجي، الذي كان على خلافٍ مع بعض الرؤساء الدينيّين..

على الأثر، انصرف إلى التّعليم، فأسّس مع جورج حايك مدرسةً في بيت شباب قرب سيِّدة الغابة،.. ولمّا ضاق بهما المكان، انتقلا بالمدرسة إلى دير مار أنطونيوس، حيث المعهدُ اللبنانيّ للمعوّقين اليوم... ومع جورج حايك، أسّس جورج مصروعه مجلّة «فتى الجبل»، وساهم في تحرير مجلّتي «العلم» لميشال حايك و«العرائس» لعبدالله حشيمه. وعام 1939، ألقت سلطاتُ الانتداب الفرنسيّ القبض عليه، وساقته إلى معتقل الميّة وميّة، بتهمة «قيدوم الشّباب».

وبعد إخلاء سبيله، التحق معلِّمًا بالمدرسة الداوديّة في عبيه. ثمّ عاد يجدِّد مدرستَه، ولكنْ، هذه المرّة، في الفريكة. ولأنّه قَبِلَ نصفَ الطلاّب مجّانًا، اضطُرّ إلى إقفال المدرسة. فانصرف إلى الصّحافة يحرِّر في «الدبّور»، ويصدر مجلّة «الأجيال» وجريدة «الزّوابع»، موطِّدًا علاقتَه بدار المكشوف، وكاتبًا في مجلّة «الجنديّ»..

عملُه في الصحافة بدأه في حلب، عام 1929. وأكمله، وارفًا، في بيروت، في جريدة

«الصّفاء» التي استأجر امتيازَها من آل ناصر الدّين، وأصدرها عام 1950 مع ميشال فضّول.. وذلك قبل أن يحصل على امتيازَي «الزّوابع» و«الأجيال».

واشترك مع عارف الغريّب الذي أصدر «المساء» في تحرير «نداء الوطن»..

وفي أوائل الأربعينيّات، أشرف على صدور جريدة «المكشوف». وعندما أصدرت دار النهار ملحقَها الأسبوعيّ، كَتَبَ فيه قصصًا مصوّرة.

ثمّ فتحت له مجلّة «الخواطر»، لصاحبها إميل حايك، بابين: الأوّل عن رحلتين قام بهما إلى أفريقيا تلبيةً لدعوتين رسميّتين من الرّئيس الغانيّ نيكروما والرئيس الغينيّ سيكوتوري؛ والثّاني تحت عنوان «إسألوني».

وكانت له كتاباتٌ في جريدة «الجريدة»، وفي «صدى لبنان»، و«مرقد عنزة»، ومجلّة «الشبكة» و«الصيّاد»، و«السّاخر»، و«المواسم»، و«بيروت».. و«الفصول اللبنانيّة»..

جورج مصروعه الذي كتب ما كتب في الصحف والمجلاّت، ما كان يَني يَنشر الكتابَ تلوَ الكتاب في الرّواية والقصّة والتّاريخ والتّقاليد والتّرجمة..

فله في التّأليف: من فواجع التاريخ، ضحيّتان، ابن زيكار، هنيبعل (جزءان)، إستير استنهوب ملكةُ العرب غيرُ المتوّجة، انطباعات أفريقيّة، حكايات أفريقيّة، رافضون، قصص وأساطير، أميرةٌ من لبنان وقصصٌ أخرى، كنوز لبنانيّة، الحبّ في التّاريخ، الانتحار في التاريخ، خواطر سكران، مجنون يَحكي، تأمّلات وخواطر، بين الوهم والحقيقة، مغامرات الكولونيل لورنس.

ومن ترجماته: أظافر الزّنبقة، غسطينو أو مأساة المراهقة، فتيات، رحمةً للنساء، شيطان الخير، الموبوءات، مذكّرات ناريمان زوجة الملك فاروق، السلام المفقود، كفرسما، ربيع العرب، روسيا الجديدة بعد موت ستالين.

جورج مصروعه.. نتذكّره في المئويّة الأولى لولادته (1910– 2010). فلقدكان وجهًا لبنانيًا أصيلاً طيِّبًا من وجوه المباركين الذين غابوا– يقول إيلي خليل. وهو هذا الوجه يقول في رسالةٍ إلى عاصي ومنصور الرحباني: «تسألاني عن طريق الخلاص؟ إنّه محبّة لبنان! من لا يحبّ لا يعرف لبنان. ومن لا يعرف لبنان، وهو يحمل هويّةً لبنانيّة، جديرٌ بالشَفَقة. أنا أعرف لبنان. ولذلك أحبّه».

لقد أحبّ لبنان حتّى الرّمق الأخير. وسيبقى لبنان يحبّه.

وها غسّان تويني يخاطبه: «في ما يقارب النّصف قرن من العطاء الأدبيّ، تجاوزتَ الصّراعَ واختصرتَ القدرين، من غير أن تفقِدَ شخصيّتُك وداعةَ الهانئ بمعرفته، ولا يفقدَ قلمُك براعةَ اللغة الملساء والسلسة، تنسابُ منها الكلمةُ جداولَ مباشرةً إلى أعماق النّفس والبصيرة.

الحكايات تنسج التّاريخ أبطالاً أبطالاً، وضحايا ضحايا– ضحايا الحلم، وضحايا الحبّ، وضحايا التخلّف الاجتماعيّ، وضحايا الجهل السياسيّ... ثمّ أبطال ذوو إمبراطوريّات أرحبُ من طموحات هنيبعل.

هكذا «كوننتَ» الإنسانَ في لبنان، جعلتَه كونيّ التّحسّس والثّقافة والتّذوّق، عربيّ اللسان ولا أجمل، غير أنّه يَعرِف من كلِّ تاريخٍ وكلِّ أدب».

وفي إطار هذا التوجّه نرى مع الدكتور متري بولس أنّ أدب جورج مصروعه أدبٌ هادف؛ فهو لا يسعى إلى الإمتاع الفنيّ فقط، بل يقصِد إلى التوجيه والتثقيف والتوعية. وهذه النـزعة يجدها الباحث، في الكثير من مؤلّفاته، ويقع عليها، أكثرَ ما يقع، في أعماله الرّوائيّة.

..«أظلُّ متّحدًا بأرضي، ولبنان إلى الأبد»– كذا قلتَ جورج مصروعه!

كذا تقول لك الأرض، يقول لك لبنان!!



إيلي مارون خليل



كأنْ لم يمتْ، يوسف!

ليلاً، نظّم، يوسفُ، يومَ غدِه.

كان يعرفُ، منذ صِغَرِه، أنّ الغدَ، حين يُنَظّم، يكون ناجحًا، ويكون سهلاً، ويكون مُفرحًا. فالإنسانُ الّذي ينظّم شؤونَ يومِه وغدِه، إنسانٌ ناجحٌ، ولا شكّ. والنّاجحُ سعيد. وكان يوسف سعيدًا.

لكنّه كان يعرف، كذلك، أنّ مَن يهتمُّ بغده، قد ينسى ربّه. فقد علّمه كاهنُ القريةِ، صغيرًا، أن لا يهتمّ، فللغد مَن يهتمُّ به. كيف؟ سأل الكاهنَ، مرّةً، فلم يعدْ يُمكنُه أن ينسى الجواب. عَبَسَ الكاهنُ، بشكلٍ مُخيف، تَنَحْنَحَ في جلستِه، مال من صَوبٍ إلى آخر، نظر، بعمقٍ، إلى سماء غرفة الصّفّ، فإلى وجوه الأطفال، وجهًا فوجهًا. خاف يوسف. وخاف رفاقُه: حنّا وفارس وطوني وسمعان. إلتفتوا إلى يوسف كأن يُعاتبونه لسؤاله هذا، من دون أن يعرفوا لماذا. جفّ حَلقُ يوسف، فما استطاعَ أن يتنازلَ عن سؤاله. لم يطلع صوتُه. إختنق. بدأ يتعرّق. تتسارع نبضاتُ قلبِه... هذا والخوري موسي لم يتفوّه بكلمة، بعدُ. فكيف لو...

أزاح هذه الذّكرى. لا يُريدُ استعادةَ الجواب. لم يُقنِعه، في صِغَرِه، فكيف في شيخوخته! عرفَ، حين كبر، أنّ الخوري موسي شبهُ متعلّم. فلم يعد يعتدُّ بأقواله. ولا بتعاليمه. ولا بوصاياه. فَقَدَ خوري الضّيعةِ مهابتَه، وتلك السّطوةَ المميّزة. وعرفَ أنّ لكلام يسوع الجميل: «لا تهتمّوا بالغد... تأمّلوا طيورَ الفضاء... وزنابقَ الحقلِ»... موقعًا آخَر. ألخوري لا يستغلّ كلام يسوع، حاشى، لكنّه لا يعرف أكثر من ذلك. فيوسف مؤمنٌ. مؤمنٌ جدًا. لا يهاجمُ رجالَ الدّين، إنّما يُحبُّهم. لهم أفضالٌ على النّاشئة، في كلّ زمن. هو يعذِرُهم. يغفرُ لهم هفواتِهم، تفاسيرَهم، آراءهم... فهم بشرٌ مثلُنا. إذًا يُخطئون. لذلك، استمرّ يوسفُ يعلّمُ أولادَه: مارون وأنطون وميلاد، قواعدَ الدّين، والصّلَوات، وأفعالَ الإيمانِ والمحبّةِ والرّجاءِ والنّدامة والتّوبة... ويوصيهم بألاّ يتغيّبوا عن قُدّاسِ الأحد والعيد. ولا يتغيّب، هو. يرافقُهم وأمّهم. فإن اضطرّ، يومًا، لضغط عملٍ في الحقل، كان، مع بَدْء القدّاس، يتوجّه يجلس إلى النّافذة من خارج. تسألُه:

- لماذا لا تدخل، يا يوسف؟

يُجيب:

- كيف تريدُني أدخل، وثيابي لا تَليق؟ إنّها ثيابُ الحقل.

ويُذَكِّرُهم بضرورة سرّ الاعتراف، ولو مرّةً في السّنة، كما توصي الكنيسة. ويتقدّم أمامهم من الكاهن، معترفًا بخطاياه. وما كانت خطايا يوسف؟ هو لا يسرق. ولا يقتل. ولا يشهد بالزّور. ولا يشتهي ما لغيره. ولا يخون أحدا. ولا... وحين تسألُه، مُماحِكًا:

- من أين هذه الخطايا يا يوسف؟

يبتسمُ، قبل أن يقول:

- نُتمّم الوصايا. نُنَظِّف الضّمير. نُنظِّف جسدَنا، يوميّا، ألا نُنَظِّف روحَنا؟!

فيوسف، فِعلاً، إنسانٌ مؤمن، تقيّ، طاهر، لا يؤذي نملة، فكيف يؤذي إنسانًا على صورة الله ومِثالِه؟! عاش حياتَه على غِرارِ سَميّه وشفيعه، ألزّنبقةُ البيضاءُ رمزُه. لم يُخالفْها لحظة. لذلك رضي الله عنه. وجعل له زوجةً فاضلة. والزّوجةُ الفاضلة خيرٌ من الذّهَب المُكَدّس. ربّت أولادَهما على الفضيلة. خصوصًا المحبّة والخدمة. وإنْ كان أنطون، أحيانًا، «يُفَلّتُ بالحكي». تقول:

- ولد! غدًا يكبر ويتغيّر.

صحيحٌ، تقولُ مريم أمُّ يوسف، أما كنتُ أصرخ: يا خسارةَ مَن لديه يوسف؟!

كان يوسفُ يُعَذِّبُها، وهو طفل. ولا يحفظ دروسَه كما تُحِبّ ويجب. هو ولدٌ لم يُحِبّ الدّرس. لم يُحِبّ الكتاب. أحَبّ الأرضَ، وخيرَ الأرض.

كبرَ، هربَ مِن المدرسة. إهتمّ بالأرض، يساعدُ أباه. ميلاد، أبوه، لم يكن يغضب. تعال، يا يوسف! لا تُحِبّ المدرسة؟ عال، ساعدْني. عمَلُ الأرضِ حَسَن. ألم يجبل الله الإنسانَ من ترابِ الأرض؟ سُرّ يوسف. أكمل مسيرةَ والدِه في معاشرة الأرض، إخصابها، جعلِها أكثرَ عطاءً، واخضِرارًا، وأجملَ، وأغنى... فالحُبُّ الّذي كنّه يوسف للأرض، هو الوحيدُ الّذي نافسَ حبّ عايدة، امرأتِه، وأولادِه. بعد حُبّ الله وسيّدةِ الخلاص، شفيعةِ وطى الجَوز، قريتِه الجبليّة العاليةِ: جبينا وجغرافيا.

إعتاد، يوسفُ، ليلاً، في فصل الصّيف، أن ينام خارجًا. أمام منزلِه سُطَيحة واسعةٌ، تُظَلّلُها عريشةٌ كبيرة. عريشة عناقيدُها المُتَدَلاّةُ، «ثُرَيّاتُ ذَهَب». ينام على ظهره. وجهُه إلى السّماء، من خلال العريشة، حيث يشاهدُ النّجومَ والنّيّرات والقمر. لا يجرؤ على عَدِّها، مع أنّه يستطيع. ألَم تُخِفْه أمُّه، لسببٍ يجهلُه، بأنّ مَن يَعُدّ النّجومَ والكواكبَ والنّيّرات، مُشيرًا إليها بإصبعه، تنبت له تآليل فيها؟ خاف. لا يُصَدِّق. لكنّه يخاف. هو يقول إنّه يحترمُ إرادةَ أمّه المُتَوَفّاةِ من زمان.

****

نظّمَ يوسف غدَه، وهو مستلقٍ تحت العريشة. سيخرج، كما كلّ صباح، مُسابقا الشّمس، إلى الحقول. وكما كلّ صباح، زوّادتُه تبغُه. يلفّ منه سيكارة بعد سيكارة. لا يقنع من طبيب. ولا من عايدة. ولا من أولاده. ولا من أيّ كان. عنيدٌ يوسف. كم يومًا إضافيًا يمكن أن أعيش إذا توقّفتُ عن التّدخين؟ فلأعِشْ ما تبقّى لي على طريقتي. على «ذَوقي».«حياةٌ قصيرةٌ عريضة، أفضلُ من حياةٍ طويلة رفيعة»، يُرَدّد دومًا. على كلّ حال، كأنّه وريثُ خاله فرنسيس في هذا. «والولد عَ الخال»، يقول المَثَل.

أكمل يوسف: وكما كلّ صباح، أسوقُ بقرتَيّ أمامي. أمتطي الدّابّة. وأمشي. في الحقل، أسقي اللوبياء، أوّلاً. فالبندورة والخيار. بعد غدٍ دَورُ الملفوف والخسّ. ثمّ أحصِد. وإذ «تَحمى» الشّمسُ، أحصِدُ قليلاً، وأرتاح قليلاً. «أسْحَبُ» نفَس تبغ، في استراحاتي وبينها. إي، وأنا أسقي الخُضَر، لا أتوقّف عن التّدخين. وما يضرّ؟ لو كان الدّخانُ يُضِرُّ بالصّحّة، لَما عاش خالي إلى الثّمانين! ولا أبي إلى الواحدة والثّمانين. وها أنا أشارف الخامسة والسّبعين. لِمَ العمرُ الطّويل؟ بماذا يُفيد؟ ألعمرُ لفائدة. فما الفائدة من جسد يعمّر طويلاً، إن كان قد أصبح ثقيلاً، عليلاً، أصفرَ، هزيلاً، مُقَصِّرًا؟ ألفكرُ؟ مُهِمّ. لكن: ما ينفع الفكرُ، إن كان الجسدُ عاجزًا عن تحقيقه؟ ألعمرُ للّذّة. والجسدُ لتحقيقِها، وبِفرح. فإن عجَز هذا الجسد، فبِمَ تُحقّقُ لَذّتَك، يا ابنَ آدم؟

وكما كلّ صباح، ومن زمان زمان، أتَفقّد الأولاد وعايدة. مارون تزوّج، صحيح، لكنّ بيتَه قريب. أرى سيّارتَه، قد يكون نسي إقفالَ النّوافذ، فتأتي الهِرّةُ وتلحق بها الكلبةُ الصّغيرة. يُمَزّقان «الفَرْش». وأنظر إلى سريرَي أنطون وميلاد. أطمئنّ. يهزّ برأسه، يهمِسُ في داخله: «قلّة عقل»! مع ذلك هي عادةٌ لا أتخلّى عنها. ولِمَ أتخلّى؟ ماذا أفعل، كبديلٍ لهذه العادةِ الّتي هي «قلّة عقل»؟ ثمّ إلى سرير عايدة. تكون استيقظت. إلى المطبخ، تُعِدُّ القهوةَ المُرّة. «طيّبة قهوة عايدة». لا هي خفيفة، «زوم زيتون»، ولا «تقيلة» تُجَفِّفُ الفم. ثمّ... أمشي.

وغفا يوسف، هانئًا بأحلامه الهنيئة. وطَفَتِ ابتسامةٌ هادئةٌ على شفتيَه الرّقيقتَين. ويداه الطّويلتان، المفتولتا العضلات، المُسْمَرّتان من تلويح الشّمس ولَفْحِها، من نوّار إلى «التّشارين»، مَرْخِيّتان على صدرِه العريض. تبدو على أطراف إبهامه وسُبابته والإصبع الوسطى، علاماتُ إدمانِ التّدخين: إصفرارًا لمّاعًا، كما على طرف شاربَيه الخفيفَين. أمّا عينا يوسف، الشّديدتا السّوادّ، اللمّاعتان، الواسعتان، فتبقَيان نصفَ مُغْمَضَتَين. كأنّ يوسف يخشى أن يفوتَه شيءٌ ممّا يُحِبُّ أن يرى.

إستيقظَ يوسف. صاح الدّيكُ. فأسكتَه بِنَبرةٍ ولفتةِ ذراع. بَلَع صياحَه، الدّيكُ، وهَرْوَلَ، مُسرعًا في الابتعاد. وكما نظّم، بدأ التّنفيذ. سيّارة مارون. عال. عاد باكرًا من سهرته، نوافذُها مقفلَة. أنطون وميلاد يسعدان في نوم عميق. وما دار نحو غرفة عايدة، حتّى قَحّت ونزلت من السّرير تلاقيه إلى المطبخ. راح يتأمّلُها وهي تُعِدُّ القهوة.

– ما بالُك تنتظر هنا، في المطبخ، على غير عادة؟ أخرج إلى السّطيحة كما كلّ يوم.

– ببالي، اليوم، أن أراكِ تُحَضّرين القهوة. يداكِ الخَشِنتانِ، رقيقتانِ، عطوفتان!

– لماذا؟ ألا تعرف، بعد، كيف أحَضِّرُها؟ أأنتَ، لأوّل مرّةٍ، ترى يدَيّ؟

– أعرف، وتعرفين أنّني أعرف. ويداكِ معي طوالَ الوقتِ. هذا صحيح! لكنّي، اليوم، لا أعرفُ ما ينتابُني، ما يُسيطر عليّ.

– قم إلى السّطيحة، تنشّق الهواء النّظيف.

أصلح جلسته على كرسيّه الخشبيّ الموروث. قَحّ، قال:

– كأنّ مطبخَكِ متّسِخٌ، يا عايدة!

– بلا مُزاح، يا يوسف! إفتح الشّبّاك، أقفلتُه طوال الليل، يجب تغييرُ الهواء.

نفّذ يوسف إرادةَ امرأتِه. ألحقَّ إلى جانبها. ثمّ... خطرت له خاطرةٌ استبقاها في داخله.

وصمتَ يوسف. بل أخذه الصّمت. أو طلع منه. كان لا يريد الخروج. إلتفتَ وراءه. رغبةٌ فُجائيّةٌ، صادرت فكرَه، الآن، يريد أن ينظرَ إلى امرأته.

- ما بك، يا يوسف، تنظر إليّ، اليوم، وكأنّك تراني للمرّة الأولى؟

- أنتِ شمسٌ، يا عايدة، كلّ يومٍ جديدة.

- أسكتْ! يا رجل. ما عاد يليق بنا مثلُ هذا الكلام.

- كلُّ كلامٍ جميلٌ يَليق! خصوصًا فيكِ، يا عايدة. حضورُك رائقٌ، عذب...

- في هذا العمر!؟

- ما به العمر؟

- كبرْنا! ما عاد يليق بنا مثلُ هذا الكلام!

- نبضُ القلبِ دليلُ العمر.

تبتسم، عايده، تُسَرُّ، وإنْ تكن قد اعتادت مثلَ هذه الإجابة. إلاّ أنّها تبقى إجابة جميلة. كأنْ جديدة. وتسألُ، في نفسها: أليس الحبُّ جميلاً؟

إنتهى إعدادُ القهوة. إلى السُّطَيحةِ تحت العريشة. يرتشفان، بلَذّة، مُتَمَهّلَين. ألأوقاتُ السّعيدةُ بسرعةٍ تزول. أليس كذلك؟

- تزول من الوجود، تستمرّ في القلب والذّاكرة!

- واللهِ، يا يوسف، لو كنتَ تعلّمتَ، لكنتَ شاعرًا أو فيلسوفًا.

- لو حصل ذلك، لَما تزوّجتُ بكِ...

تُقاطعُه:

- «ليمونة حامضة!» ما بي، أنا؟ آه، ما بي؟ قل.

- «كلُّكِ جميلةٌ وما بكِ مُعاب»...

- «بْعيد الشّبْه، يا يوسف! بْعيد الشّبْه»! هذه صلاةٌ للعذراء...

- لكلّنا عذراؤه. والعذراء، أمّ الله، للجميع!

تسكت عايده.

ثمّ، بعد صمت:

- لَمْ تُشعِل سيكارة، يا يوسف. ما بك؟

- لا أعرف لماذا، اليوم. لم يخطر لي أن أُدَخِّنَ سيكارة.

- ألَم تنم جيّدا؟

- بلى، بلى. وإن ظللتُ مُستيقظًا حتّى مجيءِ جارنا، حوالى منتصفِ الليل.

- أفّ! لِمَ؟ أيؤلِمُك رأسُك؟

- لا. منذ العمليّةِ الأخيرةِ، بات لا يؤلمُني. وابتسم.

- ما تعني ابتسامتُك؟

- سؤالُكِ يعني أنّ لي رأسًا.

- طبعا، يا يوسف. لكَ رأسٌ لا مثلُه الرّؤوسُ كلُّها.

- كانت أمّي تقول: «إنتْ بلا راس»، حين لا أحفظ دروسي، أو أتشيطن، أو أهرب من المدرسة، أو أعطش في القدّاس... أيّام...

نظر يوسفُ إلى البعيد. حاد بعينَيه عن امرأته. عاد ينظر إلى ولدَيه النّائمَين. فإليها، قال:

- سلّمي، يا عايده. واغفري لي، إن كنتُ أسأتُ إليكِ في هذه الحياة. صمتَ قليلاً. حدّق فيها، بعمق، أضاف:

- إنْ لم أكن في «الغابية»، حين يروح ميلاد بـ«الزوّادة»، ليذهب هناك، عند الكنيسة، أكنْ.

- لِمَ هناك؟

- ألظِّلالُ كثيفةٌ أمام الكنيسة، واليوم حرٌّ شديد، كما يبدو. ثمّ هناك أصَلّي لأبي وأمّي وأختي ومَن سبقني. أحكي مع "السّيّدة". أرتاح. نلتقي هناك.

وبسرعةٍ لم تَعتدْها عنده، قام. نظر وراءه لحظة. هزّ برأسه. قلبَ شفتيَه. بَرْبَرَ. لم تسمعْه امرأتُه. ولم تجرؤ على سؤاله. بدا يوسف ساهيًا، على غير عادة.

وإلى القَبْو، أخرج بقرتَيه ودابّتَه. ألبقرتان سارتا في الاتّجاه المعلوم. أمّا الدّابّةُ، فاتّجهت إلى الحافّة حيث وقف، ثمّ قفزَ، برفْق، فوق ظهرها، فتهادت خلف البقرتَين، كما كلّ فجْرٍ.

****

أحَسّ، يوسفُ، ذلك الفجرَ، أنّه قد لا يعود. فندِم لأنّه لم يوقظ ولدَيه ليتصبّحَ بهما، ويوصيَهما بأمّهما وبمستقبلهما وبالأخلاق. وندم لأنّه لم يتّصِل بابنه مارون. وندم لأنّه لم يقبّل عايده، ويودّعْها، ويوصِها بالأولاد، وبنفسها. حزن يوسفُ لهذا الإحساس. وندمَ لأنّه ندِم. ألرّجالُ أقوياء لا يندمون. ألنّدَم ضعف. يرفض، هو، أن يكون ضعيفًا. يعرف أنّه يضعف، أحيانًا. لكنّه يعمل على ألاّ يظهرَ ضعيفًا.

وما ابتعد عن البيت، قليلاً، حتّى التفت وراءه. بسرعةٍ أعاد رأسَه إلى أمام. كانت عايده لا تزال تنظر إليه. ندم لأنّه جعلها تراه يلتفت وراءه. وعندما أشارت إليه بيدها، كان عاد بنظره إلى الأمام، فلم يرَها. لكنّه خمّن أنّها تكون قامت بتلك الحركة. قلبُه دليلُه. وفكرُه أيضًا. غريبٌ قمرُ تلك الليلةِ ونَيّراتُها والنّجوم. لقد جعلتْ كلّ شيءٍ مَرئيًّا. ليس المنازل والأشجار والفلاّحون والحيوانات فحسبُ، بل كلّ شيء، كلّ شيء. كاد، يوسفُ يرى نَمْلَ الطّريق، فيتفادى أن تدوسَه الدّابّة.

وكان، يوسف، يُصَلّي حينًا، ويُغَنّي حينًا. ثمّ طفِقَ يمزج الصّلاةَ بالغناء. هو يؤمن بأنّ الأغنيةَ الجميلةَ، صلاةٌ جميلة. ويضرب أمثلةً عديدة من أغنيات وديع الصّافي وفيروز. غيرُهما؟ لا يستمع إليه بجدّيّة. يتسلّى به، مرّات، لكن لا يُصغي إليه.



ولمّا أطلّت قبّةُ الكنيسة، كنيسةِ سيّدةِ الخلاص، أحَسّ برعشة قويّة، في أنحاء جسدِه. إمتدّت إلى أحاسيسِه. فإلى شُعورِه. فإلى عقله. تحوّل يوسف رعشةً. كأنّ خَدَرًا لذيذًا نزل في جسده، حلّ فيه، ومنه تصاعد، معا. تنهّد مرتاحًا. دخلتْ صدرَه الكبير نسماتُ هواءٍ نقيّة. ألصّنوبرُ، في قريته، والسّنديانُ، والجَوز، والحَورُ، كثيرٌ كثير. تلاقى بديب النّاطور. تبادلا تحيّةَ الصّباح. ثمّ تلاقى بجريس، أخيه. عجب، يوسف. جريس ميتٌ، كيف ألتقي به! وهو يتساءل متعجّبًا، سمع «حسًّا» قريبًا. أوقف دابّتَه. توقّفتِ البقرتان تلقائيًّا. إلتفت صوب ما تناهى إليه، فرأى «ديب»، من القرية المُجاورة، يقطف تفّاحًا من بستان الياس. نَهَرَهُ، يوسف:

– صَبّحْ ربّك، يا ديب! ألم تشبع تفّاحًا بعد؟ إذهب إلى بستانك أنت.

إستحى ديب. لم يعرف ماذا يقول، أو يفعل.

عاجله يوسف: أترك ما قطفْتَ. ألرّبُّ يغفر. ولن أُخبِرَ أحدًا. تناولْ تفّاحةً كلْها في الطّريق، وامش.

حار ديب. يوسف لا يرحم. كيف لم يغضب، فينزل عن دابّته، وينهرني؟ وقد يضربني لو واجهتُه. قال ليوسف:

– لِيَلْعَن الله الشّيطانَ، يا يوسف. لا أدري ما جعلني أطمع ببستان الياس. تفّاحُه «غير شكل»!

– إي! إلياس يعرف أصول العناية بالتّفّاح: رَشًّا وتشحيلاً وسقايةً وفلاحةً في أوقاتها. وأنتَ، ممّ تشكو؟ أنت تعرف مثله. إهتمّ ببستانك، يصبحْ ثمرُه مثل ثمر بستان الياس. ألله معك. وأكمل يوسف طريقَه.

في ما بقي من الطّريق، إلى حقله، طار أمامه رفُّ حجال. باسم الله! باسم الله! قال يوسف وقد ضحك قلبُه والعينان. يُحِبُّ الحِجالَ والطّيورَ كلّها، يوسف. ويمتنع عن الصّيد. يقول:

– لا يُشبِع الطّائرُ أحدًا. ويغرّد فيُفرِح. ويأكل الحشرات فيُفيد. ويُزَيّن الفضاءَ فيجمِّلُه. ألطّيورُ منفعةٌ كلُّها، فلِمَ نُزيل المنفعةَ العامّة!؟ وأضاف ساخرًا: لنتركْ هذه لأهل السّياسة. حقيرون!!

وإذ وصل إلى «تلّة الفَراشات»، تذكّر رنا ابنةَ الأستاذ. مغرمةٌ، هذه الصّغيرةُ، بهذه التّلّة لفَراشها الوافر، بألوانه، وأحجامه، وأشكاله، وحركاته، ورَفْرَفاته... تكاد لا تتغيّب، يومًا، عنها، إلاّ إن نزلت، مع أمّها، مرّةً، إلى السّاحل لغرضٍ ما. «ألأستاذ»، إذ يصعد إلى الضّيعة، لا يعود يوجّه نظرَه، ولا مرّة، إلى المدينة. إنّه مُحِقّ. وما في السّاحل، صيفًا، غير الحرّ والعَرَق والتلّوّث؟

فقبيل وصوله، تراءى له وَجْها أبيه وأمِّه. إقشعرّ. ما بهما؟ إلى أين؟ كيف قاما من الموت! حملقَ جيّدًا. يه! صحيح! ميلاد ومريم! ما جاء بهما؟ وخلفهما خالي فرنسيس وامرأتُه سلمى. كم كنتُ أحبُّهم! وأقام معهم حوارًا ما عاد تذكّره...

****

توقّفتْ دابّةُ يوسف قرب الإجّاصةِ البَرّيّة. نزل يوسف عن ظهرها. رسم شارة الصّليب قائلاً: أللهمّ اجعلْه نهارًا مباركًا. يا ربّ! وبدأ نهارُه...

أطلق مياه المحقان، يسقي اللوبياءَ، فالبندورة، فالخيار. أنهى، قبل الوقتِ المُحَدّد. أقفل سِكْرَ المياهِ، يختزنُها. دَورُ جارِه، ابراهيم، عند المساء. يحفظ له حقّه، كاملاً، بل أكثرَ من كامل. «ألجار قبل الدّار»، يردِّد في قلبه. وابراهيم «يستأهل» الخيرَ كلّه.

إرتاح. لم يَلُفّ سيكارة. ولا «طلعت على باله».لم يُفَكِّر لماذا. تمدّد على ظهره. عيناه إلى المشرق. يراقب بَدء الشّروق. تَمَوُّجاتُ ألوان. تَبَدُّلاتُ سماء. نسماتُ هواء. اختلاجاتُ طبيعة. ارتعاشاتُ أعشاب. تَنَهُّداتُ تراب.

يُحِسُّ، يوسفُ، ذلك. يُحِبُّه. يفرح فيه. ويُحاوِل أن يتأمّل. لا ينجح. لا «يطلع» في باله فكر. ينقلبُ إلى جنبه الأيمن. تتراءى له «عينُ الفوّار» المُثَلّج ماؤها. يتذكّر طفولتَه حين كان يملأ الأوعيةَ لأمّه، لتطبخَ وتغسلَ وتُنَظِّف. وتتراءى له ماري حاملةً الجرّة، وزوجُها، ديبُ النّاطور، حاملاً، في كلّ يدٍ، دلْوَ ماء. لا يُريدان لابنهما الياس، أن يحملَ مياهًا من العين مثل الآخرين. هل كانا يَحْدِسان بأنّه سيكون غيرَ الأولاد الّذين من عمرِه؟

نَهَقَتْ دابّتُه. سمعان مارٌّ من هنا، فكّر. جلس. رأى سمعان عائدًا على ظهر حماره، وحوله كلبُه «ماكس». ناداه:

– سمعان! تفضّلْ ارتحْ معي.

أوقف سمعان حمارَه. هو يُحِبُّ يوسف. قفز عن ظهر حمارِه. ربطه بعيدًا. أقبل نحو يوسف بسعادةٍ غامرة. قال في نفسِه: يبدأ يومي جيِّدًا، يوسف فألُ خير!

– ليس من عاداتك، يا يوسف، أن تكونَ مرتاحًا في مِثل هذا الوقت!

– لا أدري ما بي، يا سمعان. كأنّي مُتعَبٌ، قَرِفٌ... لا أعرف.

– خذْ لُفّ سيكارة، وأنا سيكارة. نتحدّث قليلاً، تتنشّط. ثمّ ارحل.

تناول علبة التّبغ. أخذ منها ما يكفي، جعله في الورقةِ البيضاءِ الرّقيقة. أعادها لسمعان. راحا يلفّان سيكارتَيهما و«يَسَولِفان».

مَجّ سمعان مَجّةً عميقةً، طويلةً، من سيكارته الثّخينة. ونَفثَ دخانَها في الهواء، وصعّد بعضَه من أنفه. أمّا يوسف، فمَجّ، من سيكارته الرّقيقةِ، نفَسًا بطيئًا. «كأنّ به شيئًا، يوسف»! قال سمعان في نفسِه.

سأله:

- أأنتَ مُتعَب؟

- لا، فقد سقَيتُ فقط.

- إستيقظتَ باكرًا، وأتيتَ؟

- لا! كما كلّ يوم. لكنّي لا أعرف...

- عدْ إلى البيت. ترتاح اليوم. أنا أقوم بما عليك.

- إي. قليلاً وأعود. ليس عليّ الكثير اليوم. تأخير نهار ليس تأخيرًا، يا سمعان.

- هَيّا، يا يوسف. تبقى بِعافيةٍ، إن شاء الله. لا تتأخّر هنا.

- ألله معك. لا لن أتأخّر.

ذهبَ سمعان وفكرُه مع يوسف، وقلبُه عليه. نظر خلفه، فرآه يقوم ويتّجه نحو دابّتِه. ظنّ أنّه، الآن، سيرجع. أكمل ولم يعد ينظر إلى الخَلْف. غاب وراء الصّخورِ والأشجار.

وصل يوسف إلى الدّابّةِ، رفيقةِ الأيّامِ في الدّروب والحقول والسّهول. تلمّس وجهَها بيدَيه. ربّتَ على جبينها. ولا يدري أحدٌ ما قال لها. إلاّ أنّه وشْوشَها بشيء. واتّجه إلى بقرتَيه: ألزهراء ورفيقتِها. ربّتَ على ظهرِهما، مُداورةً. خاطبهما بما لا يفهمه سواهما. أدارت البقرتان وجهَيهما، متعجّبتَين، نحو طريقِ العودة. سارتا فيها. ظلّ ينظر إليهما حتّى وصلتا قبَيلَ التّلّة. هناك، توقّفتا للحظة، إلتفتتا وراءهما، أوْمَأَ إليهما أن: سيرا. أكملتا الطّريق. غابتا وراء التّلّة.

لم يستطع يوسف أن يُبقي الدّمعةَ في قلبِه. أخرجتْها عيناه: حارّةً مُحرِقة. وببطءٍ، عاد إلى الحافّة. إتّجهتْ إليها دابّتُه، وقفت إلى قربها. بصعوبة، انتهى فوق ظهرِها. وجّهها في طريق الكنيسة.

غامت عيناه. غصّ حلقُه. تعرّق جبينُه وعنقُه وظهرُه. أحسّ بوجع في الصّدر. بصعوبة في التّنَفّس. شعر باختناق. بضغطٍ في القلب. ما وصل يوسف إلى الكنيسة. سقط عن ظهر الدّابة، مُتَجَمّعًا على نفسه، قرب الصّفصافة الأحَبّ، الّتي زرعها، هو، سنوات قبل مولد ميلاد، صغيره الّذي في الواحدة والعشرين.

توقّفت دابّةُ يوسف إلى قربه. تقدّمت برأسِها تنظر إليه، بمشفرَيها تُلامسُه، بمنخرَيها تنفخ عليه، بعينَيها تدمعان. ويوسف لا يشعر.

بدا، هانئًا، يوسف. مطمئنًّا. جبينُه لم يتغضّنْ. لونُه لم يتبدّل. جسدُه لم ييبس. لم «يشخَر». لم يُصدِرِ نأمة.

وصلتِ البقرتان إلى البيت. عَجِب ولداه وامرأتُه. نادوا مارون، وصل قبل انتهاءِ النّداءِ السّريع. يوسف! ما به يوسف! تصرخ عايده. ما به أبي؟ يتساءل الأولاد. أمروا عايده بالبقاء انتظارًا. وهم، كلٌّ في اتّجاه.

مارون صَوبَ «حقلةِ السّيّدة». قد يكون هناك. أنطون صَوبَ «الشّالوق». قد يكون هناك. ميلاد صَوبَ «الغابية». قد يكون هناك. كلٌّ ينادي. أتى جيرانٌ يساعدون. سمع ديب، فأتى. قال إنّه رآه. وسمعان، قال إنّه تحدّث معه، ومعًا «دخّنّا» سيكارة، إلاّ أنّه بدا منزعجًا، وقال إنّه لن يتأخّر.

مُنكسِرًا، عاد مارون. عاد أنطون، مُنَكّسًا. ميلاد لم يعد. عاند. صعد إلى أعلى التّلّة. رأى الدّابّةَ تدور في مكان واحد. وتدور. وتدور. ترفع عينيها نحو التّلّة. وتُعيد. وتُعيد. سمعها، ميلاد، كأنّها تُنادي. ركضَ. قلبُه يسبُقُه، وعيناه، وحواسُّه. تسبُقُه رغبتُه في أن يجدَ والدَه سالِمًا. ويُسابِقُه شعورٌ بالخوف من أن يكون يوسف...

وصل ميلاد حيث أرشدتْه الدّابّة. جمدَ. تمكّنت، من قدمَيه الأرض، ومن صوته البُحّة، فما استطاع أن يقول: كأنْ لم يمتْ، يوسف!

ألأحد ٦ أيلول ٢٠٠٩ /لونغ بيتش/كاليفورنيا.





دياب يونس
في
«٤٢٠ يومًا في البقاع»





كان الموعدُ في ١٧ حزيران ٢٠١٠، في الكبيرةِ من صالاتِ جامعةِ سيّدة اللويزة، لكنّها ضاقت بالمقبلين، فتوأموها بباحتِها؛ وتوالى المهرجانُ احتفاءً بكاتبٍ وكتاب.. بالدكتور **دياب يونس** وبيمينِه: «٤٢٠ يومًا في البقاع»، وهو الشّهادةُ له بأنّه المحافظُ!

السيّدة **ريما نجم بجّاني**، مَن أدارت الندوةَ بصولجانٍ من جواهرِ الأدب، قدّمت مطالعةً في الرّجل فإذا «برجان هو، وقلعة»: برجُ قامة وبرجُ هامة وقلعةٌ حصنُ كَلِمٍ شعلةٌ فوق الجبل... وخاطبته تقول: «لقد شَهدتَ وشاهدتَ.. وللشهادةِ دفعتَ ثمنًا.. ولبنانُ تَرخصُ في سبيلِه الغوالي.. وقد فعلتَ، ورفعتَ عمودَ نارٍ.. فَلْتبقَ الشّعلةُ في قبضتك».

الأستاذ **سهيل مطر** شاء أن يتحدّث عن عمرٍ.. عمرِه مع دياب يونس، من تنّورين إلى بيروت، وفي كلّ لبنان. ومِمّا قاله: لم يُعيّن محافظًا للبقاع، بدافع رفقة أو صداقة أو انتماء، بل عُيّن لأنّه كان محافظًا، منذ زمان، على القيم وأعمدة الوطنيّة ونظافة الكفّ والايمان.

وما كان يمكنه أن يستقرّ في منصبه أو أن يعبر، وهو يحيا في زمن سياسيّ رديء، يتناقض فيه الايمان بالدولة مع العاملين على تفتيتها إلى دويلات وشظايا سلطة محطّمة.

وانتصر الواقع المريض على الحلم الخلوق. انتصرت الفضيحة على الفضّاح.

لماذا لم تتخلّ، يا أخي دياب، عن بعض مواقفك والمبادئ؟

ألم تسمع بالمثل الشعبيّ: مين ما أخد إمّي بسمّي عمّي؟

ألم تقرأ القول الشائع: الايد لما فيك تعضّا، بوسا ودعي عليها بالكسر؟

ألم تسمع: العين ما بتقاوم مخرز- حكّلي تحكّلك. الكذب ملح الرجال.

نعم، دياب يونس سمع هذه الأمثال، ولكنّه لم يخضع ولم يركع.

.. دياب يونس هو «اللا»، في زمن النعم والذلّ، دياب يونس هو الصعب، في زمن السخافة والتفاهة،

دياب يونس هو السيف، في زمن الخناجر والغدر،

واثق الخطوة، يمشي ملكًا... لا يتراجع، لا يؤمن بالحلول الوسطى أو الألوان الرماديّة، لا يساوم.

إنّه النموذج والمثال...

رئيس الجامعة **الأب وليد موسى**، وانطلاقًا من الواقع المثار، طرح السؤال:

هل الوظيفة الإداريّة في لبنان، ولاسيّما في الشأن العامّ، هي خدمة أم هي وظيفة ظالمة، ومدعاة للتعب والكفر، وسبب للحزن والكآبة؟

هل الموظّف في الشأن العامّ، كبيرًا كان أم صغيرًا، يتمتّع بالحماية القانونيّة وبالمناعة الأخلاقيّة، كي لا يسقط تحت وطأة التدخّلات والمحسوبيّات والإغراءات؟

هل نظامنا السياسيّ والإداريّ يشجّع الموهوبين والمبدعين، على تسلّم المهامّ والوظائف العامّة؟

مع ذلك، نحن ندعو طلاّبنا إلى الدخول في حرم الدولة، في دوائرها ومجالسها ومؤسّساتها العامّة. الحلّ ليس بالهرب، بل بالانتماء والتغيير، لأنّنا نؤمن أنّ هذا الوطن لا يقوم ولا ينهض إلاّ بالشباب الملتزم والمندفع، على مثال دياب يونس ورفاقه.

والسفير **فؤاد الترك**..،ما أدلّ ما افتتح به كلمته قائلاً:

يعذوذب الكلام بإنسان ويطيب إذا التقى في حبّه وتقديره العقل والقلب والصواب

قرأت كتابه فطربت وكيف لا،

فإن شئت إدارة محليّة عارفة وقادرة وعادلة،

وإن شئت لبنانيّات ووطنيّات،

وإن شئت أن تكون نصيرًا للحقّ وعصيًّا على الباطل وأن لا ترضخ إلاّ لوجدانك وقناعاتك،

وإن شئت عطفًا على الناس وتعاطفًا معهم،



وإن شئت إباء وشممًا وترفّعًا وشفافيةً وعنفوانًا وعتوًّا وشمخةَ رأس،
وإن شئت خَطابةً ووقفةً فروسيّة على المنبر،
وإن شئت أنموذجًا وقدوة في الصداقات والمروءات وفي الشمائل والشيم،
وإن شئت أدبًا عاليًا وسردًا جذّابًا ولغة أنيقة،
وإن شئت شعرًا من العصر أو من ماضي الزمان،
وإن شئت اذّكارًا وذكريات ومذّكرات،
وإن شئت حكمًا وعبرًا ومغازي وأخلاقيّات ومناقبيّات،
وإن شئت كياسةً وظرفًا ولباقة ولياقة،
وإن شئت فيضًا من السنى والبهاء،
وإن شئت التعرّف إلى زحله بوجهها الأنقى والأعرق والأحبّ،
إقرأ ٤٢٠ يومًا في البقاع.

وتحت عنوان: أيّها السيف! أيّها السيف والقلم، احتفى الدكتور **غالب غانم** رئيسُ مجلس القضاء الأعلى بكتاب «صاحبه بالفم الملآن وبالطريق الطويل وبشراكة القيم»، قائلاً:
كتابُك هذا... بحرٌ خِضمّ. إذا أتيناهُ من جهةِ السيّرة كان متعةً. ومن جهة المآتي كان ملحمةً. ومن جهة الوطنيّة كان مدرسةً. ومن جهة السياسة كان محتَشدَ أحداث. ومن جهة المسؤوليّة كان طريقًا ومثالاً. ومن جهة الايمان كان مُلتقىً وجامعًا. ومن جهة القول الصُّراح كان نقيض المخاتلة والمواربة والمصانعة. ومن جهة الإدارة كان ثورة. ومن جهة التاريخ كان تدوينًا غير مُضِلّ. ومن جهة الجغرافيا والعلوق بالأرض كان أناشيد ومواجيد جعلت صاحبه عاشقًا وزحلةُ عفراؤه وعبلاه، وليلاه وبُثيناه. وانسحب عشقُه إلى بقاع كلّ البقاع، ولم يكن، مع ذلك، مُشركًا ولا خؤونًا...
وكان الكتاب، فوق ذلك، كنـزًا مرمريًا من كنـوز الضّاد، ومَغنىً من مغاني الأدب، وكلامًا يخرج من بطون القواميس أحرفًا خشبيّة بكماء فيستحيل في مسارح خيالك وعلى رأس ريشتك وليمةً جماليّة خالصة...
كان الكتاب هذه كلّها، وأكثر منها. ولكنّني مكتفٍ بالتوقّف الآن، وإن على عجل، أمام ما لفتني منه في باب المسؤوليّة، وفي باب الوطنيّة، وفي المدى الروحيّ، وفي أضاميم القيم...

وذكّرت السيّدة نقيبةُ المحامين **أمل فايز حدّاد** بما يذكره البقاعيّون، قالت:
الناس، عندنا، في البقاع، ما فتئوا يذكرون صورة بطلٍ جاءهم حاميًا ومحاميًا؛
ومحيًا شابٍّ يزرع آمالاً في نفوسٍ يائسة؛
ووطنيّ جعل قلبه كنيسةً ومسجدًا وخلوةً؛
ومعلّمٍ يرشد ويثقّف؛
وإداريّ ينظّم ويضبط ويثيب ويحاسب ويعاقب ويختم بالشمع الأحمر؛
وقائدٍ يأمر وينهى، يكتب ويخطب، ويرسم، يترصّد ما يحيق بشعبه من مخاطر وشدائد، فيسارع إلى التصدّي والمعالجة، شاهرًا لسانًا أحدّ من سيف، مدبّجًا قراراتٍ من نار، معرِّضًا نفسَه ونفوسَ زغاليله الأربعة، وهم بعد دون العاشرة، لتجرّع أقصى المرارات؛
وربّانٍ يمخر عُبابًا من ألغام وبحارًا من دماء، في ظلّ جيوشٍ ومنظّمات وميليشيات وعصبيّات وقبائل مسيّسةٍ ومسلّحةٍ ومسيّرةٍ ذات اليمين وذات اليسار.
في هذا البقاع، الذي كان لسنوات أرضَ التّيه والمغامرات، ظلّ دياب يونس يرتدي تحت سترته روب المحاماة: المحاماةِ عن شعبٍ مشتّت،
المحاماةِ عن حقوقٍ ضائعة أو مغتصبة،
المحاماةِ عن كراماتٍ تُداسُ وتُزدرى،
المحاماةِ عن وطنٍ يغيبُ ويغرق،
وأثبت رجليه في مستنقع الردى، وفجّر صوته مجلجلاً كهزيم الرعد: لا! لن يموت شعبي. لا! لن يسقط لبنان.
وانتهت إلى القول: دياب يونس، ٤٢٠ يومًا في البقاع هو أكثر من كتاب،
إنّه أنتَ، بلحمك ودمك وأعراقك،
دياب يونس بشموليّتك، وتألّقك، وسطوع أسلوبِك، وملحميّة نفسِك، وجوهر نفسِك المنصهرة في عباراتك النابضة بالحيويّة والحياة.

وجاء في مشاركة وزير الداخليّة والبلديّات الأستاذ **زياد بارود** قوله:
أن تقرأ الدكتور يونس، تحزن مرّتين على الأقلّ:
مرّة لأنّك تدخل معه إلى مسالكنا المتعرّجة، ويخبرك بصدق المترفّع أمورًا تتمنّى بعد حين لو لم تتصل إلى علمك.
ومرّة أخرى، لا أخيرة، لأنّك تقف أمام




تجربة واحد من خدّام الجمهوريّة (بمعنى serviteur de la Republique) ضاق ذرعًا بخنق النظام لوسع النظرة وعمق الفكر ومدى المقدرة. نحن، أيّها السادة، دولة غبيّة لا تعرف استثمار طاقاتها. نحن دولة تتقن ثقافة الرجل غير المناسب في مكان مناسب له فقط...

وتابع: إقرأوا دياب يونس بعين الواقع، يدرككم الحزن.

وإنّما أعيدوا القراءة بعين التحدّي، تدركوا كم إنّ تراكم التجربة يغني من يشاء القراءة والتعلّم..، تحدّي ابن تنّورين الذي شرب مياه الصلابة عن حقّ، لا التصلّب عن باطل، فنجح في تكذيب مقولة أن لا أمل بحسن ترشيد إدارتنا المهترئة.

٤٢٠ يومًا تخلّلها ربّما ٤٢٠ خرقًا ويزيد، في جدار نظامنا المنتمي إلى الماضي لا إلى العراقة.

٤٢٠ يومًا تخلّلها ربّما ٤٢٠ قصّة ويزيد، تحكي وجدانيّات الناس وهي الأصدق.

٤٢٠ يومًا كأنّها تاريخ من تاريخ، وكأنّ التاريخ يعيد ذاته.

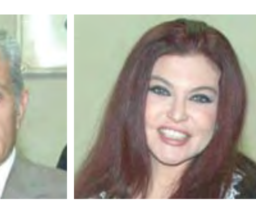
وإلى أن يأتي يوم نتوقّف فيه عن إعادة إنتاج أخطائنا وحماقاتنا ومجازرنا وصراعاتنا، لا بأس لو توقّفنا، في ازدحام مواعيدنا، عند محطّة قد تستغرق ما يقارب الـ٤٢٠ دقيقة، فنقرأ، علّنا نتّعظ...

وأخيرًا، وفي غضون الشّكر للحضور والتحيّة للخطباء، تحدّث الكاتبُ عن بعض ما يتحدّثُ عنه الكتاب من نضالٍ وتمزيقِ أوصالٍ وواحاتٍ وإداراتٍ وعلاقاتٍ وكلماتٍ مدارسَ في القيمِ والمناقبِ شَتّى...

باسمة بطولي مكلّلةً بالشّعرِ..
واحتفاءِ الأصدقاء




في ٨ حزيران ٢٠١٠، تكلّلت **باسمة بطولي** بأصدقائها تلاقَوا إلى دعوةٍ حول شعرها، الذي، كما قالت **ريما نجم بجّاني** بدايةً، رنينُ حليّ.. نسجُ قياثيرِ حوريّات.. يقظةُ تُراقِصُ أنغامًا...




وتوجّه الأستاذ **سهيل مطر** إلى شاعرتنا بقوله:
كلّنا يعلم، يا باسمة، أنّ البعض شوّه الشعر، سخّفه، دنّسه، مرّغه بالتفاهة والرداءة والعبث الفارغ. ولكنّك، أنتِ، بالأصالة، بكبر النفس، بالشرف النبيل والجميل، احترمت الشعر، واحترمت الشعراء، وصنت القصيدة من الهلوسة واللاشعر، وجعلتها مرآة لك، على صورتك ومثالك.
عمر القصيدة، يا صديقتي، لا ينتهي. وأنت هي القصيدة التي نعلّقها اليوم، على صدر هذه الجامعة.
فأهلاً بك، وليسلم اليراع والريشة. وكما نلتجئ إلى مريم، شفيعة هذه الجامعة، لنقول لها: صلّي لأجلنا، نحن الخطأة، الآن وفي ساعة موتنا، آمين، فإنّني بدوري، أتطلّع إليك لأقول: صلّي لأجلنا، أكتبي لأجلنا، أرسمي لأجلنا، نحن العشّاقَ المزمنين، زملاءك في الحكايات الحلوة والحزينة، الأصدقاء الذين تكلّلوا بالشوق، واغتسلوا بندى الحنين، وأعلنوا الحبّ حتّى الموت، ولا يزالون ينتظرون.



وتحت عنوان: شاعرة الضوء والأناقة، قال رئيس اتحاد الكتّاب اللبنانيّين الأستاذ **غسّان مطر**:
هذه المغزولةُ من جمرٍ وألوان، عرفت احتمالات اللغة وافتُتنت بها، فانفجرت رؤىً وابتكارات، حتّى لتقول إنّها تملك الوزنات العشر التي لا يملكها إلاّ المختارون.
وهي، في تفجّرها، أَثبتت أنّ الحداثة ليست هذيانًا مجّانيًّا، وأنّ الإبداع ليس أحجياتٍ وألغازًا، وأنّ الشعر ليس ثرثرة وفوضى.
باسمة بطولي أثبتت أنّ للجمال نظامًا، وأن لا جمال خارج النظام، وإلاّ لانهدم الهيكل، وصار الكون خرابا...
فباسمة الممسكة باللغة كثيرًا، العارفة بقدرة هذه اللغة على اجتراع المعجزة، الممتلئة رهافةً ونقاء، والمحلّقة خيالاً، أضاءت فأضافت. تلك هي الحداثة وكلّ ما سواها انتحال صفة، وتنكّر لما يميّز أكثر من ألفي سنة من الإشراق المبين...
فحسبنا ونحن نستمع إليها أو نقرأ لها، أن يختلج نبض القلب فينا راقصًا ومصفّقًا، لكي نعترف بأنّ السحر الذي تتقنه هو من هبات الله الحسنى.

مثل هذا الارتعاش هو دليلنا إليها، وهو انهمارها فينا يُطفئ عطشًا ويفيض ضوءًا ومتعةً وأناقة. والأناقة في الشعر ليست إحدى صفاته، بل هي أحد مكوّناته. وباسمة من قلائل وعَوا هذه الحقيقة. فالأناقة في شعرها حَجَرُ شعرها، وتعلو المداميكَ أميراتٍ رافلاتٍ بالأرجوان البديع.



وكان للشاعر **محمّد علي شمس الدين** نظرة في شعر باسمة بطولي/ الحقيقة الشعريّة، انتهى فيها إلى اعتبارها من أهل الصنيع الشعريّ المحكم، ما يُفرد لها موقعًا شعريًا مميّزًا في كتاب الشعر العربيّ الغنيّ والمتنوّع، القديم والحديث معًا،.. فإذا هي واحدٌ من أولئك الشعراء اللبنانيّين الكبار الذين قال فيهم سعيد عقل:

عِشْ ألفًا وابتكرْ قصيدةً وامضِ
زِدْ سَعةَ الأرضِ



وأنهى الأستاذ **جوزف مهنّا** «أيقونته» بهذه الشّذرةِ من ذَهب:







فيا صاحبة مغاصات اللؤلؤ والخرائد السّمان، التي لا كُفْيَةَ لأحلامها وأصيبيّةِ أغراضها، المعراجيّة الهوى، المكيّة النفحات طقوسًا وأعراقًا.

على رُبى غزّارتك- بعائديّة الفتون والطبعيّة النهاجيّة البريع- تتخلّق للشّعر في لعبة الإدهاش والرّنيم، والإيماءات العطيف، جباهُ شهاديّة أُنُفٌ، حمّالةُ ألويةٍ، لا حريزَ من طائيّة الباسمة قيثارة، وضوعي أزاهر، وموري بلابل الربيع بالصّداح!

ولائمها ومسمّياتها العراض. فزغردي على ذكر الباسمة قيثارة، وضوعي أزاهر، وموري بلابل الربيع بالصّداح!

باسمة بطولي، إنّنا لنفطعك من البيان، وقد أقبلتْ هاديات خيل الشعر وهواديه، عرشًا أثيلا!



وجاء في شهادة الأستاذ **غسّان حنّا**:

أشهدُ يا باسمة أنّك غريبة عن هذا الغزل الشائع بين كثيرٍ من الشاعرات في مجموعاتٍ كاملةٍ أو نصوصٍ لا تختلف عن مشاهد الجنس الفاضحة هنا أو هناك. الحبُّ في شعرك مخاضٌ كيانيٌّ.. وجوديٌّ..

لكنّ بُعْدًا آخر يجتذبني في شعرك وهو المبادلات الحسيّة بحيث تنهلين من ينابيع الرمزيّين وتستبيحين المدلولات الصوتيّة للّغة...

وها أنت في شخصانيّةٍ طاغيةٍ تقتربين من الفلسفة حين كلّ شيءٍ يصير جزءًا منك.. وأنت متناهيةٌ إلى كلٍّ من الأجزاء...

وأخيرًا لا أعرفُ من شاعرةٍ تمارسُ صياغةَ اللغةِ أنيقةً.. صافيةً.. مختالةً كباسمة بطولي.



وناشد الدكتور **دياب يونس** الباسمةَ أن تزيدَ على أناشيدِها الأناشيد.. قال:

تقولين، باسمة، إنّ ربيعك كفّنته، قبل الخريف، السحب، وإنّ ضبابًا ألقى عليك وشاح الرحيل، وإنّ النار في مواقدك تشيخ، وإنّ لجحك الظّماء إلى الندى حلّ فيها البرد، وتسألين عمّا في سلال العمر يبقى بعدما ينعب في ثناياك غراب الغروب.

آهًا! باسمة، لم ينته الربيع. ومن أين أتانا الزعم الكذوب أنّ ربيع الفصول أجملها؟ ليس في الأناشيد، باسمة، أجمل من صوت شبّابة مبحوحة في المساء! ليس في الحقول أجمل من زهرة تفتّح زرًّا في الشتاء! ليس في العطور أجمل من قطرة ندى تطير بها أراجيح الرّيح! ليس في الأغاني والألوان أجمل من لوحات غروب الشمس أو من نداء بُوقات الرحيل! ليس في البهاءات أجمل من قمر يترك على أذيال الغيم نتفًا من دمائه!

في الخريف، باسمة، خمور وأسرار ووصال. وفي الشتاء، باسمة، وصالٌ وأسرارٌ وخمور. في الشعراء كما من مسّتهم عبقريّة، شعلةٌ لا دهر يطفئها، وشبابٌ لا ينقضي بانقضاء الشباب: في وطابهم لا يشحّ ماءٌ، في قلالهم لا يجفّ زيتٌ، في سلالهم لا يغيب زبيبٌ، في دنانهم لا تنفد خمرٌ. والحبرُ، أبدًا، من أناملهم، رشّاحٌ.

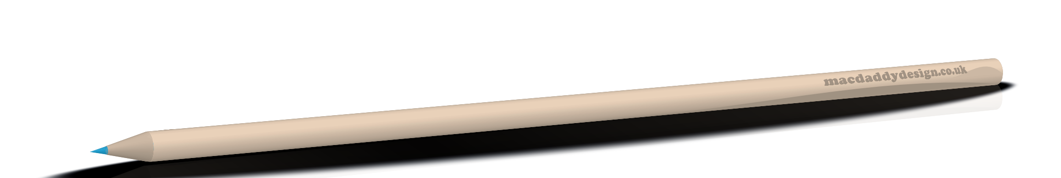
غنّي الخريف، باسمةُ، وغنّي في الشتاء. وكما في الربيع، إهزجي، إعزفي، أنشدي، غرّدي، مجّدي، تطرّبي، زيدي على قيثارتك وترًا، حرّكي في كنّارك عصبًا، أعْولي، باركي، إستنـزلي اللعنات، تكلّمي كما المجانين والأنبياء، إنْقُري على مثانيك الرياح، إضربي على المثالث رؤاك وأخيلَتك والحسرات.

كلّ شيء، أيّتها المغرمة جسدًا وكبدًا إلى زوالٍ يؤول. كلّ نهرٍ دَفَقَ من ينابيعك سينضب. كلّ نجم في أحلامك سرى سيغرب. كلّ نار أضرمتِها فخِلتها البراكينَ تثورُ ستَهمد. كلّ حبّ ترنّح من شهوةٍ وسكرٍ، أو تمايل من تعالٍ وكِبْرٍ سيخمد، إلاّ أنّ جمرَك سيبقى.

في شعرك، وحدَه، حبُّك، مدى الدهر فتيًا، سيحيا.



أمين ألبرت الرّيحاني



تَجوالٌ في مِدادِ قلمِه

قبل الحديثِ عن مقالاتِ جورج مغامس، أو إفتتاحيّاتِه في الـ NDU SPIRIT، أودُّ التوقّفَ عند قلمِه أيًّا كان موضوعُه أو غرضُه الأدبيّ. هذا قلمٌ مرتاحٌ إلى نفسِه، محتفلٌ بها، محيطٌ بأبعادِها، ومكتنـزٌ بخبرتِه واختباراتِه معها، وفيها، وعبرَها. لذا، مهما عالجَ من مواضيعَ، تراه يتلذّذُ بفعلِ الكتابةِ إلى درجةِ أنّه يتمادى في معانيها ومضامينِها وتراكيبِها وفذلكاتِها اللغويّة، بحيثُ تكادُ لا تدري ما إذا جاءَ بالموضوعِ المحدّدِ وألبسَه حلّةَ اللغةِ المناسبة، أم أنّه جاء باللغةِ الغنيّةِ الثريّةِ وألبسَها ثوبَ الموضوعِ المناسب. تقرأُ لهذا القلمِ فيحلو لكَ التّرحالُ معه إلى عوالمَ تقترحُها الأفكارُ فتستدرجُ بها اللغة، أو قُلْ تُغويها، أو تلك التي تقترحُها اللغةُ فتدعو عبرَها الآراءَ والمعاني، أو قُلْ تُغريها.

رُبَّ قائلٍ أنّ حالَ جورج مغامس حالُ من اكتنـزَ بخلفيّةٍ لغويّةٍ ثريّة، وبالتالي جالَ في كلّ تلك الأغراضِ والمضامينِ بحيثُ دانت لقلمه أو تمكّنَ قلمُه من تفتيقِ احتمالاتها وأبعادها مستعينًا باللغة حينًا وبما توحيه من الفكرة الواحدة حينًا آخر. لكن مَن يَعرفُ جورج يدركُ أنّ تلك الخلفيّةَ اللغويّةَ قابلتها خلفيّاتٌ رديفة. منها خلفيّةُ عالَمِ الرّيفِ الآتي منه بشتّى تفاصيله وصوَرِه ومشاهدِه الحيّةِ اللطيفةِ الظريفة، ولقطاتِه العابرةِ المعبّرة، تلك التي يقطفُ بعضَها قطفًا ليبنيَ منها عالمَه القرويّ الجميلَ بوجوهِه وشخوصِه وأناسِه اللافتين المميّزين. ومنها خلفيّةُ عالَمِ الصّحافةِ التي مارسها طولاً وعرضًا، لغةً وموقفًا، تحريرًا وإدارةً، ذهبَ بهما أحيانًا إلى حدودِ التّحدّي الكبيرِ الذي يدفعُك إلى المزيدِ بلا هَوادةٍ ولا تردّد. ومنها خلفيّةٌ أدبيّةٌ غنيّةٌ، مطالعةً وكتابةً وتدريسًا، بحيثُ اختلطَ عالمُه الواقعيُّ بشطحاتِ قلمٍ واثقٍ من نفسِه كما من المواضيعِ التي يختارُها للمعالجةِ والمناقشةِ والكتابة.

أعودُ إلى موضوعِ هذه العُجالة: المقالةُ عند جورج مغامس، وتحديدًا افتتاحيّاتُه في مجلّة سبِرت في جامعة سيّدة اللويزة ، تشكّلُ امتدادًا لما أشرتُ إليه؛ سيّما وأنّ الكاتبَ في العدد الصّفر يستهلُّ رحلةَ هذه المقالاتِ بتحديدِ طموحاتِها، إذ «هي تطمحُ (ويجب أن تطمحَ) أن تكونَ صورةَ الوجوه... كلِّ وجه، صدى الأصوات... كلِّ صوت، بصدقٍ وأمانة. وبهذا (بهذا فقط) تنجح». أمّا تحدّي المجلّة فبأن «تتفاعلَ والنسيجَ الجامعيّ. أن تجتذبَ خيوطَه. أن تستقطبَ قواه وأقلامَه». أراه طموحًا كبيرًا أن تستقطبَ المجلّةُ، أيّةُ مجلّة، «النسيجَ الجامعيّ... وخيوطَه... وقواه وأقلامَه». فهلاّ نجحتِ المجلّةُ في هذا التحدّي؟ ليس موضوعي الآن تقويمَ المجلّة، بل محاولةُ تقويمِ مقالاتِها الافتتاحيّة. وللدخولِ في بعضِ تفاصيلِ المادّةِ الأدبيّةِ المقصودة، عمدْتُ إلى توزيعِ مواضيعِ تلك المقالاتِ الافتتاحيّةِ إلى ثلاثةِ أبواب: الجامعة والقيم، الجامعة والوطن، الجامعة والمستقبل.

يحاول الكاتبُ في البابِ الأوّلِ أن يربطَ سلّمَ القِيَم بالتربيةِ والعِلمِ والثّقافة، وكأنّه بذلك يضعُ ختمَ الجامعة على كلّ ما له علاقةٌ بالتكوين الذاتيّ بما فيه التكوينُ العِلميُّ والثقافيّ. فبناءُ الذاتِ لا بدّ وأن يمرّ ببناءِ المعرفة، وهذا يشكّلُ صُلبَ الدورِ الذي تلتزمُ به الجامعةُ في مختلفِ نشاطاتها وعلى مختلفِ المستوياتِ الأكاديميّة. واللافتُ أنّ الكاتبَ يربطُ هذه القِيَمَ بإطارٍ آخرَ لا يقلُّ أهميّةً عن إطارِ المعرفة ألا وهو مضمارُ حقوق الإنسان. (إفتتاحيّة العدد – إف.ع.- ١، تشرين الثاني ١٩٩٦) فكأنّه يدعو إلى تعزيزِ تلك الحقوق وصَونِها من خلال إعلاءِ شأنِ المعرفة كي تستقيمَ بعدئذٍ مسألةُ القِيَم. إنّه الثّالوثُ الإنسانيّ الذي يَكرزُ فيه ومن أجله بعضَ ما جاء في افتتاحيّات مجلّة سبِرت في أعدادها الخمسين السابقة. هذا الثّالوثُ يمكنُ اختصارُه بالأخلاقِ والمعرفةِ وحقوقِ الإنسان. وإذا ما سألْتَ أيّ ركنٍ من هذه الأركانِ الثلاثة يمهّدُ للآخر، فإنّك تطرحُ بذلك وُجهةَ نظرٍ أكثرَ من أن تستنتجَ قاعدةً موضوعيّةً علميّة. وسَواءٌ أدليتَ بوجهةِ نظرٍ أم استنتجتَ قاعدةً أو ما يشبهُ القاعدة، فالافتتاحيّاتُ، في كلّ حال، ما توانت عن مناهضةِ فساد، وردّ انحطاط، ودفعِ إحباط مهما كانت أشكالُه وألوانُه. وفي معرِض كلامه عن القِيَم، لا يغيبُ عن الافتتاحيّات بعضُ أشاراتٍ عن البعدِ الروحيّ الذي تتميّزُ به الجامعةُ كما الوطن. إشاراتٌ خاطفة، لكنّها بليغةٌ ذاتُ مدلولاتٍ ثريّةٍ ثاقبة: «بل ظُنَّ أبدًا أنّ الشّعبَ الذي لا يموتُ هو الشّعبُ الذي يُطلِعُ روّادَ سماء، قبل أن يُطلِعَ روّادَ فضاء؛ وإنّنا لَنُطلِعُ!!» (إف.ع. ٤٣، تمّوز ٢٠٠٨)

ويكرزُ الكاتبُ في البابِ الثاني، بابِ الجامعةِ والوطن، بأهميّةِ العملِ الدؤوبِ في بناءِ الأوطان، العملِ المتواصلِ من أجلِ البناء، فـ «الوطنُ صناعةُ كلّ يوم، كلِّ مواطن...» (إف.ع. ٨، نيسان ١٩٩٨). ويختصرُ الكاتبُ مسألةَ الهويّةِ ومعنى الانتماء بكلام مقتضبٍ ومُثْرٍ في آن، حين يقول: «نحن نريدُ أن نعيدَ لبنانَ إلى لبنان. وهو يعودُ حقًّا يومَ يعودُ العربُ إلى العرب. وإنّ ما لم يصنعْه الحكّام، ستصنعُه الجامعات...» (إف.ع. ١٤، آذار ٢٠٠٠) كم هو مُصيبٌ هذا الكلام: أن يعودَ لبنانُ إلى ذاته، وكيف؟ أو متى؟ حين يعود العرب إلى

ذواتهم. أليست عمليّةُ الانتماء بصفائها ونقائها عمليّةً تربويّةً من صلب مسؤوليّات الجامعة؟ ويربطُ صاحبُ الافتتاحيّات «السبِرتيّة» بين معنى الحريّة والبعد الإنسانيّ حيث يقول: «الحرّيّة ليست في أن يتمكّنَ الإنسانُ من أن يعملَ ما يحلو له، بل أن يستشعرَ أوّلاً ما قد يحرّرُه ممّا يحلو له لكي تحلو له إنسانيّته...» (إف.ع. ٢٩، تشرين الثاني ٢٠٠٣) أليست عمليّةُ «استشعار» البعدِ الإنسانيّ لمعنى الحرّيّة جزءًا لا يتجزّأُ من مهمّةِ الجامعة ودورها في بناءِ قادة المستقبل؟ ويحبّرُ قلمُه في صلبِ الحالةِ اللبنانيّةِ الخاصّة حين يتساءل: «أما علّمتنا التجاربُ أنّ استقواءً أو استزلامًا لخارجٍ يستدعي استقواءً أو استزلامًا آخرَ لخارجٍ آخر...؟» (إف.ع. ٤٠، حزيران ٢٠٠٧) وهذه واحدةٌ أخرى من الأمثولاتِ الوطنيّة التي إن لم نتعلّمْها على مقاعدِ الجامعة ضاعت، بل أفلتَتْ، من بين أيدينا إلى الأبد.

ويطلّ جورج مغامس في الباب الثالث، بابِ الجامعة والمستقبل، على المقبلِ من الأيّام، مستشرفًا بعضَ معالم، ومتلمّسًا ملامحَ الآتي. ويأتيكَ جورج مغامس في افتتاحيّاته التي تدخلُ في باب الجامعة والمستقبل «بما لم تزوّدْ». تراه في ذلك يأخذُ تارةً بالهمّ السياسيّ العامّ «التغيير يبدأ بحقّ الناس في أن يعرفوا ويريدوا، وبالتزام الحاكم بأمر الناس لا بأمره...» (إف.ع. ١٠، تشرين الثاني ١٩٩٨)؛ وتارةً يستلهمُ الأرضَ في التطلّع إلى الآتي «... نفلحُ ونزرع في ترابنا وفي تراثنا وفي ما يليق بمسارنا والمصير» (إف.ع. ٤٧، كانون الأوّل ٢٠٠٩)؛ وطورًا يتطلّعُ إلى نَفَسٍ جديد وآفاقٍ جديدة، محاولاً «إعادة استنباط الحياة...» علّنا نبني لأيّامنا الآتية ولأبنائنا من بعدنا. (إف.ع. ٢٩، تشرين الثاني ٢٠٠٣) أمّا إذا خاطب شبابَنا فلا لشدّهم إلى القلق والقهر، بل لخوفٍ عليهم «كيف تغدرُ بهم الأيّام، فلا يجلسون إلى موائدِ العصر كسائرِ أبناء العصر.» (إف.ع. ٢٠، أيّار، ٢٠٠١) ونسألُ مع الكاتب أليس من دور الجامعة أن تؤسّسَ مع طلاّبها لدُربةٍ رؤيويّةٍ تستشرفُ الغدَ وتتهيّأ لمصادقته وللانخراط فيه؟ أليس من واجب الجامعة أن تواكبَ عيونَ طلاّبها في تطلّعهم إلى الأمام ودعوةَ أنفسهم للجلوس إلى «موائد العصر»؟

ثمّة ملاحظةٌ لا بدَّ من التوقّفِ عندها إن أنا أصدَقْتُ القولَ وأحبَبْتُ صاحبَ قلم. تستدرجُنا اللغةُ أحيانًا إلى المستهلَك من تعابيرها ومفرداتها، فنَقبلُ الاستدراجَ بحجّةِ مَلَكةٍ لغويّة نتمتّعُ بها فلا نهابُ مثلَ ذا الانزلاق. لو أعاد جورج النظرَ في بعض مقالاته لأسرعَ إلى إسقاطِ تلك التعابيرِ القليلة المستهلكة حرصًا منه على إبقاء لغته سالمةً سليمةً نقيّةً نظيفةً من كلّ شائبة. من تلك الأمثلة في معرضِ الكلامِ عن الرئيس أنّنا نريد منه «أن لا يحمل السلّم بالعرض...» (إف.ع. ٤١، كانون الأوّل، ٢٠٠٧) لغةُ جورج مغامس أصلبُ وأجملُ من أن تستعينَ بمثل هذه العبارةِ المستهلكة من دونِ إيجادِ بديلٍ لها. ربّما عنى مثلاً: إذا الرئيس أَمّ غايةً تقصّاها، ولكن حذارِ الاصطدامَ بالآخرين... أو قوله «للأفكار أقدام» (إف.ع. ٩، تمّوز، ١٩٩٨) لا، أو بالعاميّة لَهْ، لَهْ، يا جورج! فالأفكارُ أجملُ وأسمى وأرقى من أن تدبّ على الأقدام. أليس أجمل، إذا أنا استعرتُ من لغتك، أن أقولَ وتقولُ معي: للأفكار أُفعولاتُ الحركة؟ ويبدو أنّ الكاتبَ، بسبب تمكّنِه من اللغة، ينساقُ أحيانًا إلى تعابيرَ جماليّةٍ لا تضيفُ كبيرَ معنىً أو عميقَ فكرٍ على موضوعِ الكلام. ففي سياقِ كلامِه عن الفنانِ والعالِمِ والمُصلح (إف.ع. ١٩، آذار، ٢٠٠١) يقول: «هم دأبُهم أن يكسِروا القشور، ويَجتازوا ويُنجزوا، ويَعبروا بنا من ضِفّة نور إلى ضِفّة نور» هنا يكتملُ المعنى، لكنّ الكاتبَ لا يكتفي بذلك، فيكملُ قائلاً: «نحو أبراجٍ تَنهَدُ صوب ما أنزلَ الله من آياتٍ حِسان، فتكادُ تُدانيها أو تُحاكيها ولا تَستكين». معنى الجملةِ اللاحقة جميلٌ بذاته، لكنّه جاء نافلاً ولم يُضِفْ شيئًا للمعنى الرئيس الذي تحملُه الجملةُ السابقة. فالعبور «من ضِفّة نور إلى ضِفّة نور» يفترضُ التطلّعَ نحو أبراجٍ تناطحُ السحاب. فلو أسقطنا الجملةَ اللاحقة، ماذا كان تغيّرَ في المعنى؟ لا شيء. لماذا استرسل الكاتبُ إذن؟ جوابي لأنّه استطابَ اللغةَ التي بها يكتبُ وانساقَ إلى مِدادِ قلمِه من دون الانتباهِ إلى نوافلِ المعاني. فيا صديقي جورج، أنت أوّلُ من أطالبُك في الحفاظِ على بلاغةِ قلمِك، وفي البلاغةِ إيجازٌ مُستحَبٌّ، وعصارةُ فكرٍ يَستتِبّ. ولو عُدْتَ أنتَ إلى مقالاتك لأسقطْتَ منها، لا أقولُ الكثيرَ، بل ما لا يَلزمُ من نوافلِ الكلام فلا يبقى سوى إكسيرِ المعاني ولا يرتدي ذاك الإكسيرُ سوى الحلّةِ الراقيةِ المفصّلة على قياس تلك المعاني. أبعِدْ لغتَك عن الجماليّةِ المُتحَفيّة، وحافظْ على توهّجها المستمدِّ من توهّجِ الحياة. ألستَ أنتَ القائل: «لماذا لا ... نتيحُ [اللّغة] أن تهجرَ المُتحفَ الذي صنّمناها فيه، فتعاشرَ الناسَ في الشوارع والمصانع والحقول... لماذا لا نُلبسُها أزياءنا، ونطيّبُها بعطورنا، ونُجلِسُها إلى موائدنا في دفء عيالنا... لماذا نُبقيها غريبةً عنّا، ونَبقى غرباءَ عنها...؟» (إف.ع. ٢١، تمّوز، ٢٠٠١)

هذه ملاحظاتٌ عابرة، يا صديقي جورج، لا تَنتقصُ من وهجِ لغتِك ورصانتِها وأناقتِها والرّقيّ. ولهذه الأسبابِ عينِها، شئتُ أن أبثّك بعضَ غَيرتي على أدبك. وإذ نحتفلُ اليوم بالعدد الخمسين لمجلّة سبِرت التي سهرْتَ على نشأتها ونموّها وتطوّرها طَوالَ هذه السنين والأعداد، نحتفلُ كذلك، بل لذلك، بقلمك الذي نحبُّ ونستطيبُ مرافقتَه قراءةً واستماعًا، فيحلو لنا الترحالُ كما يحلو لنا التجوالُ في ثنايا لغتِك المميّزةِ وأدبِك الرفيع.



رأي وآخر
في «كتابُ الصّورة» - جورج مغامس
... معرضٌ وأَدَب

١

د. منيف موسى



قرأتُ الكتاب، فَعُدْتُ بالغنيمةِ من إياب، وما طالَ الغياب. ومعي وجوهٌ لصقتُها فوق دفتري رُسومًا من كتابك. فإذا أنا بين التَّنْكيتِ والتَّبْكيت، أحتارُ في تخيُّرِ الصُّورةِ الأبهى نكتةً والآلَم مَلمحًا. فشخوصُك نماذجُ بشريّةٌ لملمتَها من سُبُلِ الحياة، وأنْتَ الرَّسَّامُ الوَسَّام، والنَّقَّاشُ الرَّقَّاش. وإذا أُسلوبُكَ نَقْطٌ من مُحيًّا البلاغةِ في دفترِ الأدبِ الرَّفيع. فأَشْعلتُ لك الشَّماعدَ من رُقىً تحرسُكَ من «عيونٍ فارغة» وعلَّقتُ في جِيْدِكَ «خرزةً زرقاء» تَقيكَ الحسدَ وشرَّ الوَسْواسِ الخنَّاس.. وأنتَ كالجاحظِ في عباءَةِ الكَلِمِ رافلٌ ومُدَثَّر.

قرأتُ كتابكَ «كتابُ الصُّورة» فأَلْفَيْتُني في مجتمعٍ ظريفٍ لطيف، حسنِ المعشر، لَبِقِ الحديث، خفيفِ الظّلِّ. وإذا صُوَر.. الكتابِ.. آدميُّون.. حادثتُهم وجادلتُهم، وأصغيتُ إلى كلامِهم، وأنِسْتُ بتصرُّفاتِهم، ولو كانت عند بعضِهم سَماجةُ السُّلوك، وعنتريّاتُ المظاهرِ من «النَّفْج» [والنَّفج، أنْ يدّعيَ الانسانُ شيئًا ليس فيه ويُسمّى بالفرنسيّة (Snobisme)، والإعجابَ بكلِّ شيءٍ شائع]. ولكنّها، ريشتُك أو فرشاتُك التي أضافتِ اللَّمساتِ الفنيَّةَ، تجميلاً أو تشويهًا.. فكُنتَ الأديبَ الأريبَ والمُصوِّرَ البارعَ في إبرازِ خاصّيّةِ كلِّ واحدٍ منهم.

فيا لكَ من حاذقٍ ماهرٍ في الكتابةِ والرّسمِ والتَّلوين! وكتابُكَ، يا صديقي، أذكرَني بكتابِ الأديبِ الفرنسيِّ، «لابروبير»، (الطَّبائع) [Les Caractères] حيث صَوَّرَ فيه نماذجَ رئيسةً من مجتمعِ عصره، في تحوُّلاتِهم وتقاليدِهم الأخلاقيّةِ والدّينيّةِ والعاداتِ المُستحدثةِ عند قضاةٍ واتْجاريّين متسلّطين، مثلما أذكرَني بكتابِ شاعرِنا اللبنانيِّ الأديب «الياس أبو شبكة» (الرُّسوم) الّذي صوَّر فيه بالحروفِ رجالَ قلمٍ ورجالَ سياسة. فوَقَفْتَ إلى جنبِ هذين الأديبَينِ بجدارةٍ واسْتحقاق، بحِرَفيّةِ الأديبِ الدّقيقِ الملاحظةِ الرَّائعِ السَّبْك. وأنتَ بين الجِدِّ والهَزْلِ تُطلُّ من عباءةِ الجاحظ، مُريدًا لكتابكَ المتعةَ والإفادة. وقد أَقْصَرتَ فاختصرتَ في نُصوصِكَ لتأتيَ بالجميلِ الأنيسِ الممْتع، فلا يَمَلُّ قارئُكَ ولا أنْتَ تطيلُ عليه السَّرْد. وكأنّ شعارَكَ كان قولُ الجاحظِ نفسِه: «... فإنّي رأيتُ الأَسْماعَ تَمَلُّ الأصواتَ المُطْربةَ والأغانيَ الحسنةَ والأوتارَ الفصيحةَ إذا طالَ ذلك عليها...»

وإذا شئْتَ التَّفكُّهَ والإضحاكَ كان كتاب «هنري برغسون»: (الضّحك) مَعْلَمًا عندَك في قولةٍ له: «نحصلُ على أثرٍ مُضْحِكٍ بِنَقْلِ التَّعبيرِ الطّبيعيِّ لفكرةٍ ما إلى مستوىً آخرَ».

ثُمَّ أرى عندك مسحاتٍ أو لمساتٍ من القاصِّ الفرنسيِّ «ألفونس دوديه» في كتابه (رسائل من طاحونتي) الّذي مزجَ في كتاباته «الفانتازيا» إلى الرّسمِ والتّصويرِ الطّبيعيِّ للحياةِ اليوميّة. وقد استقى مادّتَه، مثلَك، تقريبًا، من الرِّيفِ، كما فعلتَ أنْتَ.

ويا أخي جورج، تمنيّتُ لو أنّ رسّامًا حاذقًا قَدْرَ حِذْقِكَ رسَمَ «بورتريه» لكلِّ شخصٍ من أبطالِ كتابِك، كما رسمتَها أنتَ، لا كما هي في الواقعِ الّذي أَضفيتَ عليه، وأَضفتَ إليه، من فنِّك وروحِكَ وقلمِكَ، لَجاءَ كتابُك بالكلمةِ والصُّورة. وما هَمّ. يبقى كتابُك «كتابُ الصُّورة» معرضَ رسمٍ بالكلمات، ونحن منه في جِدٍّ وهَزْلٍ وضَحِكٍ حتّى النّشوةِ الأدبيّة!

صورة الحياة...

د. جميل الدويهي



هو كتابٌ عن القريةِ وناسِها، يكتبُه ساكنُ قريةٍ/ مدينة. قلْ يصوِّره بكاميرا دقيقة، تتناولُ التفاصيلَ على إيجازٍ متعمّد، كأنَّها اسكتشاتٌ تمثيليَّةٌ طريفة، لمَّاحة، على غيرِ إطالةٍ وإطنابٍ مُملّ.

وقد نجحَ الكاتبُ في التّركيز على المضامين الاجتماعيَّة فقط، مستبعدًا، إلى أبعدِ الحدود، التّعاطيَ في السّياسة، مع أنَّ المجتمعَ اللبنانيَّ، خصوصًا في القُرى، لا يعيشُ بغيرِ هواءِ السّياسة، وبغيرِ التّطبيلِ من أجلِ هذا أو ذاك، وتعليقِ الصّورِ على الجدران، تحت وابلِ اللعناتِ على من «جوّعونا وأذلّونا»، فيجتمعُ النقيضان في صورةِ الحياة: غضبٌ ورضى، وصيفٌ وشتاءٌ على سطحٍ واحد.

وعلى صِغرِ الكتاب، فإنَّه جامعٌ للكثيرِ من ملامحِ الواقعِ الحياتيِّ في القرى. فالأعمالُ التي يقومُ بها النّاسُ تتراوحُ بين أعمالِ الزّراعة: «معلّم الياس يُقصَدُ إلى خدمةٍ هنا أو خدمةٍ هناك، لتطعيمٍ وتشذيب»، والسّنيور أيضًا «استهواه الشّتلُ والغرسُ منذ يفاعتِه الأولى»... وبين تربيةِ الماشية، فأبو مسعود، «من قطيعٍ من الماعزِ ربَّى قطيعًا طيِّبًا من الأولاد. وزادَ في دخلِه بقرتان حلوبان، وللفلاحةِ في مطالعِ كلِّ ربيعٍ وشتاء»... ومع هذه المهنةِ البدائيَّةِ وتلك، نقعُ على أعمالٍ أخرى أكثرَ أو أقلَّ حرفيَّةً، فالخواجة جان يعملُ في المقاوَلة، والعمّ نجيب يعملُ في النّجارة، وجريس يسوع سائقُ سيَّارة أجرة وعاملُ تنظيفات في مدرسةٍ إثر حادثٍ حدثَ له، وبديعة خيَّاطة، وأديب النجيب يَجبي الأموالَ للرهبان، وسليمة داية الضيعة، وعبدالله حلاَّقٌ وإسكافيٌّ في وقتٍ واحد... وهكذا...

ويُضيءُ صاحبُ كتاب الصّورة على طبائعِ النّاس، وأهوائهم، وهي طبائعُ تقليديَّةٌ، طالما قرأنا عنها أو شاهدناها، ومن أهمِّ هذه الطبائعِ الثّرثرةُ وتلفيقُ الأخبار. وقد تعمَّد الكاتبُ إبرازَ هذه الظّاهرةِ الاجتماعيَّة في نصوصٍ كثيرة، بحكمِ انتشارِها المطَّردِ في القرى والأرياف، أكثرَ ممّا تنتشرُ في المدن؛ ففي القرى تكونُ الثّرثرةُ تعبيرًا عن كبتٍ، وحرمانٍ، وشعورٍ بالفراغ، بل هي ترتبطُ ارتباطًا وثيقًا بشخصيَّةِ الإنسانِ نفسِه، بحيث أنَّه يفتقرُ إلى الثّقةِ بقدرتِه على التّعبيرِ بما قلَّ ودلَّ من الكلام، كما أنَّه يرى في تناوله للآخرين وسيلةً للتّعالي والارتقاءِ بنفسه إلى مرتبةٍ أهمّ. فمعلّم الياس مثلاً حشريٌّ متدخِّل، يرصدُ النّاسَ وأفعالَهم ليلاً ونهارًا، آملاً في صيدٍ ثمينٍ من الأخبار، فـ«لا يزورُه زائرٌ إلاَّ ويرصدُ جيئتَه ورَوحتَه... يلتقطُ كلَّ صوتٍ وصورة، لا يفوتُه منها تفصيلٌ ضئيل. ثمَّ يروي لك الوقائع وما توقَّع وقدَّر...»، واسكندر «يقول كثيرًا. يركِّبُ المستقيمَ على الأعوج. يَقنعُ ويُقنع...» وإدوار «يُجري لسانَه في النّساءِ من زوجتِه وجَرًّا»، وأديب «مكثارٌ في الكلام... يرى ويسمع ويحشو جعبتَه بما يَرشقُ به جلاَّسه من أسماء ووقائع...»، ووردِيَّة «استطاعت أن تقرِّصَ عجينَ شفيقة، سلطانة النّاسوت واللاهوت في تركيب الذّكَر على الذّكر...»، وعفُّو «تجمّعتْ لديها أسرارٌ لا تحصى، تَرشقُ بها وتُلقِمُ، غِبّ الحاجةِ والضّرورة...»

ولا ينفكُّ الكاتب، في إطارٍ توثيقيٍّ قَصصيٍّ، يقدِّمُ لنا صورًا متتابعةً عن أنماطِ المعيشةِ في المجتمعاتِ الصّغيرة، التّي يضيقُ أفقُها، وتتشابهُ فيها العادات، وتَشيعُ مظاهرُ الحياةِ التقليديَّة، فجبرايل بو ناعوسة واحدٌ من اثنين ظلاَّ يلبسان الشّراويلَ السّودَ في ضيعته، وأبو مسعود يتزيَّا بسروالٍ منفوخِ الفخذين ويندسُّ في جزمةٍ إلى الكاحلين... ولا يُرى يدخِّنُ إلاَّ بماسورةٍ من أعوادِ الزّعرور... وأبو جميل الخطَّار «يَزيد في هيبته طربوشٌ مائل، وزنَّارٌ مفوَّفٌ مشدودٌ على ملتقى قميصٍ وشروال... وتَسمعُ له صَفْقَ خيزرانةٍ ونعلين». والسّنيور «من رعيلِ المطربشين، وآخرُهم حتَّى الرّمقِ الأخير».

ويشيرُ الكاتبُ أيضًا إلى معتقداتٍ خرافيَّةٍ شائعةٍ في القرى، فرفقة تعتقدُ أنَّ الماءَ مجلبةٌ للجنِّ والشّياطين، وأنّ الآبارَ المكشوفةَ ليلاً تصيرُ مأواها وملجاها. وتعتقدُ المرأةُ أيضًا أنَّ أهلَ بعضِ القرى أُصيبوا بالجنونِ بسببِ شُربِهم من تلك الآبار... والشّيخ إدمون يتتبَّع آثارَ الكنوزِ في الخرائبِ والمغاور، بحثًا عن مخابئِ الذّهب، ويأمرُ الرّصَدَ (شيخ الجنِّ) أن يفعلَ كذا وكَيت...

وهذا الجنوحُ إلى الخرافات، له ارتباطٌ أيضًا بالشّخصيَّة الجَماعيَّة لأهلِ الأرياف، ذوي الثّقافةِ المتواضعة، فهم يخترعون قصصًا وهميَّة، ثمَ يصدِّقونها، وتصبحُ جزءًا من ذاكرتهم.

ويحقُّ لنا أن نسأل، مع تتابعِ هذه الكاراكتيرات المتشابهة: هل الكتابُ يصوِّر أناسًا من العصرِ الحاليِّ؟ وما فائدةُ الإكثارِ من الوصفِ الخارجيِّ الذي ينطبقُ، أكثرَ ما ينطبقُ، على زمنٍ مضى؟

أغلبُ الظنِّ أنَّ الكاتبَ يستعينُ بذاكرتِه الشّعبيَّة من أجلِ إعادةِ الحياةِ إلى شخصيَّاتٍ عبرت، وانتهتْ صلاحيَّاتُها. وقد تكونُ هذه الشّخصيَّاتُ «خلايا نائمة» في عقلِه الباطن، من سنواتِ الطّفولة، والمدرسةِ، ثمَّ المراهقة... أليس جبرايل بو ناعوسة مثلاً شخصيَّةً غابرة، لم يعدْ لمثلها وجودٌ في عصرنا؟ شخصيَّة مَن يلبِّي نداءَ الواجب متى دَقَّ نفيرُه، «فيهبُّ إلى إبرتِه الشّبراويَّة، يطهِّرُها بالماءِ المغلِّي، ويسارعُ إلى

أفخاذٍ وأكفال».
وما الدّقّةُ في الوصفِ إلاّ من سلالةِ الزّمن الطّفوليِّ الذي يُسجِّل كلَّ شيء بأمانةٍ وصدقٍ بالغين. ولنا في وصفِ الأمكنةِ والبيوت، وأصنافِ الطّعامِ والشّراب، وصباحاتِ القهوة، والولائم، وشربِ الكأس... قرائنُ على أنّ ما يذكرُه الكاتبُ لا يعودُ إلى زمننا. وقد وشّحَ الكاتبُ شخصيّاتِه بوشاحِ الكوميديا، على طريقةِ الجاحظ أو مارون عبّود، فأصابَ عدّةَ أهدافٍ بحجرٍ واحد، فأضحكَ، وأدقَّ في وصفه، وأقامَ تناسبًا بين الفولكلور وشخصيّةِ الإنسانِ القرويّ، فقلّما نجدُ وصفًا لأحدِ الأشخاصِ لا تَصبغُه الكوميديا بصبغةٍ فاقعة، فرزّوق لا يَقِلُّ عن عِفْو إلاّ بحجمِه ووزنه، فهو نصفُ نصفِها... وما يكادُ يغيبُ قفاه حتّى يطلَّ رأسُه... ويوسف الأكرش يُعرَفُ، لكثرةِ أكلِه، بأبو لقمة... ومروان يبدو كصندوقٍ مصبوبٍ صبًّا أو كمدرَّعةٍ من مدرَّعاتِ مكافحةِ الشّغب... وفرج الله وَسْطُه أعرضُ من كتفيه، ويمشي زحفًا ويداه في جيبه... ورَوند أنفُها في مواطئ قدميها، وتمشي بطبطةً تعتعةً خبًّا... والرّيِّس له تحت الذّقنِ ذقن، وهو بجّاحٌ نفّاج كأنّما نفخَ الشّيطانُ في أنفِه وصارَ دقّاقَ طبلٍ ومزمار... والخواجا جان لديه نظّاراتٌ بُنّيّة سميكةٌ كأنّها لرصدِ السّفنِ في البحارِ أو الكواكبِ في الفضاءات... إلخ
وللكوميديا أهمّيّةٌ بالغةٌ في عملٍ فنّيٍّ من هذا النوع، وهي في الوقتِ نفسِه تبرهنُ مقدرةَ الكاتبِ على الإضحاك، وبراعتَه في اختيارِ التراكيبِ الّتي تجعلُ المتلقّي يَضحكُ في توقيتٍ مفروضٍ عليه. وما هذه الكوميديا إلاّ جزءٌ لا يتجزّأ من الصورة، الّتي ينقلُها الكاتبُ بأمانة، ويضيفُ إليها بعضَ المؤثّرات، من تجربتِه، وذوقِه الخاصّ، ومهارتِه كفنّانٍ صائغ، يُحسنُ انتقاءَ الألوانِ والأشكال، فإذا كتابُ الصّورة صورةٌ عن الحياة، تَشعرُ وتَنطقُ وتَتكلّمُ بلغة الجمال.
ويمكنُ القولُ أخيرًا إنَّ كتابَ الصّورة هو عملٌ وصفيٌّ كوميديٌّ جاذب، أمّا كاتبُه فلكأنّه يستعيضُ عن الحبرِ والرّيشةِ بآلةِ التّصويرِ اللاقطة، يَنفذُ من خلالها إلى أعماقِ الشّخصيّات، ويلاحقُها في حركاتها وسكناتها، لينقلَ ملامحَها المرئيّةَ وغيرَ المرئيّة، فيرتفعُ بالكتابِ إلى مستوىً فنّيٍّ- توثيقيٍّ، يعكسُ طابعَ الحياةِ في القريةِ بأسلوبٍ ساحرٍ، لكن أنيقٍ، فيُمتعُ، ويقدّمُ الفائدة.

جورج مغامس والصّورة الأبديّة

٣

د. عصام الحوراني



لماذا سمّاه «كتاب الصّورة»؟ هذا الكتاب الأبيض الغريب الصادر في طبعته الأولى منتصفَ العام ٢٠١٠، هو غريبٌ برموزيّةِ اسمِه ولونه، غريبٌ بصُوَرِه المترنّحةِ في عالمِ الخيالِ والخلق، غريبٌ في الدّهشةِ والمُلحَة معًا، وهما يمتلكانك بلا استئذانٍ أو سؤال... وتسكنُكَ صُوَرُه بطيبِ خاطرٍ وبمحبّة. وبعد، ماذا عن الصّورة يا تُرى؟ وماذا عن صورِ صديقِنا الأديبِ المبدعِ جورج مغامس. تعالى معي أيّها القارئُ العزيز لنُبحرَ معًا في العالمِ المغامسيّ الأخّاذ، فهل يا تُرى...! تستطيعُ صورُه الجديدةُ أن تحلّ محلّ صُوَرِ «خْليل» وهي ما زالتْ عالقةً بحبالِ البالِ وأمراسِه؟

الصّورةُ يا ناس غريبة حقًّا... لأنّها تتكوّنُ في الذّهنِ وتلتصقُ فيه، تتجمّعُ في اللاوعي، في الذّات، في الأعماقِ بقوّةٍ عجائبيّة، وبمرونةٍ وبومضٍ كلمحِ البرق. «وخلقَ الإنسانَ على صورته ومثاله» وكان ما كان في قديم الزّمان، صورةُ جدّنا آدم كانت في اللوغوس الإلهيّ، قبل أن تصيرَ جسدًا بفعلِ الخلقِ والإبداعِ اللامتناهي، وتحلَّ بين مخلوقاتِ الله الأخرى. ونقولُ صُوِّر لي... أي خُيِّلَ إليّ... وتصوَّرْه، أي تخيّلْ صورتَه... والفنّانُ المبدعُ يُنتِج صورًا في شكلِ حكاياتٍ تتدفّقُ من ينبوعِ الخيال، كما الحالُ لدى مبدع «كتاب الصّورة». صُوَرٌ... وصُوَرٌ تؤاتينا في الأحلام مبعثَرَةً مقطّعةَ الأوصال، تُقلِقُنا وتعبثُ بنا هذه الزّائرةُ الغريبة التي تتسلّلُ إلى ليالينا كحلمِ شكسبير في منتصفِ ليلةِ صيف! والصّورةُ في علمِ الفلكِ هي مجموعةُ نجومٍ تُذكّرِ هيئتُها بشكلٍ ما معروفٍ وعددُ صورِها ٨٩ صورة، وصورُ جورج مغامس ٣٣ صورة، تلتهبُ في مجرّةِ الكاتب فتتدفّقُ صُوَرًا تتناثرُ حكاياتٍ ملذّةً فيها حياةٌ وبسمةٌ وأمل... والأدبُ كلُّه، ما هو إلاّ صورٌ من وحيِ الخيالِ وصنعِه، كما هو الحالُ لدى العلماءِ والمخترعين منذ أقدمِ الأعصر.... والفكرُ صورةُ العقلِ، كما الكلمةُ التي كانت في البدء... لقد أثار جورج مغامس قضيّةً مهمّةً في عالمِ الفكر، شَغلتْ بالَ الفلاسفةِ منذ أقدمِ الدّهور، وها هو اليومَ يتناولُ الصُّوَرَ المستمدّة من الواقعِ المعيوش، من أناسٍ عاديّين بامتياز، لا تلتفتُ إليهم أبدًا، ولا تُعيرُهم أيّ اهتمام... فإذا بالقلمِ المغامسيِّ يتناولُ ما عَلَق في أعماقه، ويبعثُه من جديدٍ صُوَرًا خلاّقةً فيها الطّراوةُ والأُنسُ، والضّحكةُ، والفكرُ... فهو كما عوّدَنا في كتاباته منذ «إلى كلّ أرض» عام ١٩٨٢ ووصولاً إلى «تكوين ويليه آخر»، وإلى «خْليل» هو، هو المتصاعدُ المُجدِّدُ أبدًا... المتجلّي الذي لا يعرفُ الرّتابةَ والاجترار. فلكلِّ شخصيّةٍ لديه لونُها الخاصُّ الذي لا يتكرّر. الشخصيّاتُ في الأدب المغامسيّ متنوّعةٌ

الأشكالِ في الجسدِ كما في الرّوح، مميّزةٌ بقسماتها، وتفاصيلها، وتصرّفاتها، وأساليبها في الحياة... وصُوَرُهُ تتعانقُ والتّعابيرَ والكلماتِ والحروفَ فيتشكّلُ من هذا المزيجِ طبقٌ طيّبُ المذاق، يُقدَّمُ على مائدةِ أمّ درويش التي: «ترفدها بقلب الخسّ وقرمة الملفوف وفول ولوز وبسطة كفّ وأصابعَ من خيارٍ وبندورة، وبما طابت صحونُه شويًا وقليًا ومُتبّلات...»

«كتاب الصّورة» هذا، يُذكِّرُنا بتمثال موسى لميكالنجلو، والذي كاد أن يتكلّم. فالقارئُ مع كلّ اسمٍ في الكتاب يكادُ أن يَسمعَ ويَرى، ويُصادِقَ ويُحبَّ، أو يُعاديَ ويُبغِض، ثمّ إنّه يُجيبُ ويسألُ ويتحدّثُ ويتسامرُ مع فلانٍ وعِلاّن من أهلِ السّيكار الذين لديهم علمٌ في كلِّ شيء، وواحدُهم «يحلِّلُ ويُعلِّلُ ويجودُ بالحلول والاحتمالات، ويختمُ بالكلمة السّاطعة القاطعة: خُذْها منّي وتوكّل». ومع عفّو «لا تعفُّ ولا تكفُّ، تنتِفُ وتندِفُ... تحلُجُ حَلجًا وتكتمُ مصادرَها!...» وهكذا تدخلُ شخصيّاتُ جورج مغامس القلبَ بفرحٍ ولا تُبارحه، ولو انتقلتَ معه إلى شخصيّةٍ أخرى. إنّه يجعلُنا نتيهُ في أماكنِ هذه الشّخصيّات بمرونة، نتنقّلُ معهم من مكانٍ إلى آخرَ ونعودُ إلى زواريبهم لنستمتعَ بحكاياتهم وأحوالهم وأخبارهم كما يَلزمُ المعلِّمُ الياس زاروبَه المليءَ بالأسرارِ المنبعثة من «نوافذه... من أبوابه... من جدرانه... ومن كلّ نظرة ونبرة، هي في عبّه وفي قلبه، ويَحفظُها... لكنّ قالَ الزاروب وقيلَه هما ملكُ للزاروبيّين...»

واللّغة مع جورج مغامس عفويّةٌ شاعريّة، تُحاكي الأسماءَ والصّور، وتتفاعلُ مع الذّات حتّى الأعماق، تتآلفُ معها لتُكسِبَها حلاوةً، ورقّةً، وحياة؛ مثال أبي جميل الخطّار «اسمًا وكنية.... فهو الاسم على المسمّى حقًّا... كألفٍ ينتصبُ أمامك، كرمح، كروح النّار في السّحاب... هذا المهفهف... حاجته يطلبها من رأس النبع وعلى رؤوس الأشهاد، ولا يغضّ الطّرف إلاّ عن شميم الطّيب في عِرق حبقٍ أو عطرٍ أو وردٍ جوريّ»، وأمّ شامل، «الجرديّة التي تزوّجت ساحليًّا، فساحلَتْ إليه بكفٍّ نبّاتةٍ ورحمٍ ولاّدة...»، وأبو الرّيم «قتيل الكحول... وهذه آخرة كلّ كَرْخنجي سَكرجي...وقَمرجي أيضًا...»، وأديب النّجيب «البقباق اللقلاق... الّذي يخطرُ بعباءته كمشايخِ برامكةِ الزّمان يُوزّع الألقابَ والأمثالَ حُللاً على حالات...» وعبدو السَّهوان، وجبرايل بو ناعوسة، والعمّ نجيب، «فهو لَهبٌ في العين، وزَبدٌ في الشّدق، وصوتٌ نطّاحٌ لقرصِ السّماء... جَرّاسٌ حقًّا» وعفيفة سيّدة القُطبة، «تلك البنت المقدودة من لون جذوع السّنديان، وتخطرُ خطرةَ الدوري والخوري والشّمّاس، وفي صوتِها مثلُ حفيفِ القصبِ في طنينِ النّحاس... تبقى لطيفة تبذلُ ذاتَها في سبيل أحبّائها... والقطبةِ العليّة».

وليس ثَمّةَ من صورةٍ بلا لغةٍ تماثلُها لونًا وروحًا، تتجانسُ معها وتتناغم، فتُحاكي الحروفُ والكلماتُ الصّورةَ، بجرْسها ورنينِها وسجعِها وجناسِها وتفعيلاتِها... فلقد قَرنَ الكاتبُ الوصفَ بهندسةِ الكلم، فهو يَروزُ كلماتِه لينحتَ منها الصّورة، فتأتي مع شفيفِ الألوانِ باهرةً جذّابةً محبَّبة.

ويمضي الكاتبُ مع صورِه الثّلاثِ والثلاثين بلا عياءٍ كما وحيد المغنيّة، تغنّي وكأنّها لا تغنّي... إنّه شَهّاءُ جمال، أنيقٌ في وصفه، يُشكِّلُ من حُبيباتِ لآلئه اللغويّةِ عقدًا ولا أجمل، فالصّورةُ تولدُ بين يديه حيّةً ناطقة، تتحرّكُ وتنمو في خيالات القرّاء، ولا تُنسى بسهولة. هو صاحبُ ذلك المزيجِ العجيب، من الحروفِ التي يُدوزنُها برقّةٍ وبحذقٍ ومهارة، وكلُّها تُؤاتيه بعفويّةٍ فتنسابُ متوهِّجةً كما العطرُ من قمقمِ السّاحر. وأنت تحارُ معه أيُّ هو الواصفُ والموصوف... لقد «قصّر عن شأوكَ القصيدُ» هي اللغة التي يستعملُها بأسلوبه المميّزِ الخاصّ به وحدَه، ولا يُجاريه أحدٌ في ذلك. لغة جورج مغامس هي لغةُ الصّورةِ النّاطقةِ بلسانٍ فيه حلاوة، لغةُ الوجوهِ المتنوِّعة، لغةُ الرّيشةِ الرّهيفةِ التي تُدغدغ بألوانِها النّفوسَ، لغةُ الإزميلِ يُداعِبُ الحجرَ وعريقَ الرّخام... هي رسومُ جورج مغامس التي كما قال: «أيقونات وقلائد ذكريات».... تبقى في البال، مخلِّدًا بها التّنوّعَ المُتأنسنَ في هذه الصّوَرِ على اختلافِ أشكالِها وسحناتِها وميولِها وأهوائها ومراميها التي لا تُحصى.

هذه الصّوَرُ الثلاثةُ والثلاثون تُمثِّلُ هذا الإنسانَ التائهَ في عالمنا، والذي هو صورةٌ طبقُ الأصلِ لعالمٍ مضى منذ آلافِ السّنين، ولعالمِ الغيبِ الآتي. صُوَرُ جورج مغامس، هي حكاياتُ النّاسِ في كلِّ مكانٍ على هذه الكرة، فهو يسردُ الصّورةَ الحكايةَ بكلّ رشاقة، يرصفُ مشاهدَها رصفًا متجانسًا، ويُوشّيها بمَدادِ الفكر. وأنتَ تستقي منها ما تشاءُ من عِبَر، فتبتسمُ وتضحكُ وتتألّمُ في آنٍ معًا، وتتأمّلُ طبائعَ النّاس وتصرّفاتِهم التي يشوبُها القلقُ والحيرةُ والعنفوانُ واللامبالاة.... أبطالُ حكاياتِ «كتاب الصّورة» تعبثُ بها الصّدفُ، كما كلُّ النّاس، وتتنازعُها الأوهامُ أحياناً، ويلفُّها الغموضُ في تصرّفاتها الغريبة، كما كلُّ الناس أيضًا... حكاياتُه هي صورتُنا المضحكةُ في أكثرِ الأحيان، فالكاتبُ يتناولُنا جميعًا وهو يُرينا أنفسَنا في هذا الكتابِ المرآة، ونقولُ مع سُقراط: إعرفْ نفسَك... هذه الفلسفةُ التي كانت بدايةً لانتقالِ الفكرِ من مرحلةِ الرؤى النّظريّةِ والصّورةِ المكتوبةِ إلى مرحلةِ الصّورةِ الّتي تتحرّكُ وتُحرِّكُ الواقعَ الإنسانيّ حولَها... وهكذا فمن خلال صُوَرِ النّاسِ المبعثرةِ في«كتاب الصّورة»، فإنّ كلّ واحدٍ منّا له اتّصالٌ من قريبٍ أو بعيدٍ بإحدى هذه الصّور، من ناحيةٍ ما ولو مبطّنةٍ ومغلّفةٍ بألفِ حجابٍ وحجاب. ثلاثةٌ وثلاثون مثالاً مسربلاً بألفِ لون؛ وهذا الرّقمُ الثلاثةُ والثّلاثون له أكثرُ من مغزىً ومن رمزٍ في عالم الميثولوجيا، وفي العالمِ القدسيّ، ولا أدري إن كان جاءَ مصادفةً مع الكاتب، أو كان له أيُّ هدفٍ في ذهنِه؟

لقد أنطقتَ الصّورةَ الجامدة، ودخلتَ مخابىءَ النّفسِ ودهاليزَها وزواريبَها، ثمّ خرجتَ منها حفيًّا، تُظهر أسرارَها ولا تكتمُها... خرجتَ أيّها الماردُ من بحرِ «الزّوق» بلآلىءِ الأصدافِ وكنوزٍ ثمينة. وها هي تملأُ صفحاتِكَ الممتعةَ... فلا تَبخلْ علينا أيّها الصيّادُ الماهرُ بكنوزِك، ونحن بانتظارِك دائمًا، والسّلامُ عليك.



Dina Zebian
Sophomore
FH (Advertising and Marketing)

نحلم...وبعد؟

دينا ذبيان

جميل أن تحلم، أن تتمنّى وتخطّط وتقول، لكنّ الأجمل ومن دون شك أن تفعل وتنفّذ وتحوّل أحلامك إلى حقيقة واقعة... نحن نتعب ونعرق ونسعى، وبعد؟ نجدّ ونرجو ونجري، وبعد؟ نحلم ونطمح ونضحّي، وبعد؟ نولد ونكبر ونحيا، وبعد؟...

«وبعد» سؤال يطرح نفسه، لأنّنا، وبعد التعب والجري والطموح والحياة، لسنا نعلم أسيكون الآتي عظيمًا أو أعظمَ كما يقال، أم هزيلاً ووضيعًا وأكثر انحطاطًا؟ لسنا ندري إن كان «وبعد» يستحقّ هذا العناء كلّه، أم أنّنا نعيش الوهم المجرّد من الحقيقة والخيال النائي عن الواقع. نتساءل «وبعد»، لأنّنا نخاف على أنفسنا من الفشل واليأس والخيبة والاستسلام. نحن نحبّ الأمل والأحلام، نحبّ كلّ ما يمكنه أن يخلق من الانكسار انتصارًا، ومن الفشل فوزًا، ومن الاستسلام استنكارًا، ومن الثورة ثروة...

كنت طفلة حين بدأت أحلم. في البداية، كلّ ما كنت أتمنّاه هو أن أكبر وأصبح صبيّة ترتاد الجامعة وتقود سيّارة... لكن، مع الأيّام، كبرت أحلامي.. كبرت لدرجة أنّني صرت أحلم أن يعرفني العالم بأسره. لقد سمحت لأحلامي، حينها، أن تجتازحدود الزمان والمكان، أن تتطوّر لتتخطّى المعقول، أن تتّسع دائرتها من دون أن تراعي أو تقيم اعتبارًا لأيّ شيء.

واليوم، وأنا على عتبة الجامعة، لست أدري أأندم وأنسى تلك الأحلام أم أمنح نفسي آمالاً ووعودًا قد لا تتحقّق. لطالما انتظرت، وبفارغ الصبر، هذه المرحلة. لكنْ وحقًّا، ليت الزمان يرجع إلى الوراء، فالخوف من أن يتحوّل كلّ ما حلمت به إلى سراب لا يلبث أن يفارقني.

لست الوحيدة، طبعًا، التي تعاني من أحلامها، إذ كيف أكون الوحيدة، ونحن الشباب نحاول فهم الحياة ومعرفة أسرار النجاح فيها،ولكن عبثًا ومن دون نتيجة؛ فالضباب يزداد، والرؤية تسوء، والخوف من الغد يكبر ويتضاعف.

لا يخفى علينا جميعًا أنّ بإمكان الماء أن يصبح هواء، والنار رمادًا، والنطفة إنسانًا، والذرّة كونًا... فلمَ إذًا لا يمكن لأحلامنا أن تضحي حقيقة؟



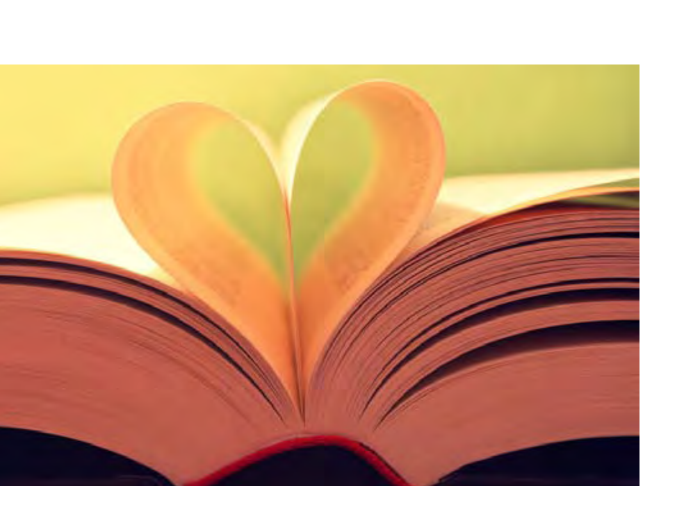




Nour Al-Hassanieh
Sophomore
FNHS (Medical Laboratory Technology)

حبّ بين دفّتين

نور زاهي الحسنيّة



أتأرجح بين دفّتيه
تارةً أسكن السماء، أفترش سحبها
وطورًا أزور الأرض، أتذوّقُ حصرمها.
بأناملي أداعب أوراقه الملساء.
فتسودني قشعريرةٌ غريبة.
أبتعد
فيشدّني إليه بقوّة!
أأقاوم، أم أصارحه؟
أأبوح بما يعتصر داخلي من عواطف وتناقضات؟
أأستأذنه قبل أن أرمي بنفسي بين أحضانه؟
أأرجوه أن يلتقطني؟
أم أجرّب حظّي وأتكيّف مع العواقب؟
لا أدري!
في مثل حالتنا، لا تتجاوز العلاقة حدّ الصداقة.
ولكنّ صداقتنا تطوّرت.. غدت حبًّا.
هو يجالس كلّ وحيد؛
ولكنْ، معَنا عَجزَ الجلوسُ واحتارَ...
فوقفنا، مشينا، ركضنا، ورقصنا حتّى...
قد لا تصدّقونني، إذا كنتم ممّن اكتفوا بالجلوس
أو آثروا الوحدة...

بيني وبين الكتاب قصّةُ حبّ عجيبة...
نتبادل الهمسات كطيور الجنّة
ونمضي في ليالينا سُمّرًا حتّى يطلع الفجر!
كم أستاء عندما تمطر عيناي على أوراقه.. تبلّلها
أخاف أن تعتريَه نزلة برد!
أجففه، وأضمّه إلى قلبي لعلّه يسامحُ تأثّري وشظاياي البيضاء.
يكابر أحيانًا. ولكنّني أعلمُ، بل أدرك أنه يغار
من رياضيٍّ يسابق الضوء
يَبهرُ من يعشقون الإنبهار...
قد أحتاج إلى خدماته في عصر السرعة،
ولكنْ، مهما تطوّر الحاسوب وتوشّح بحليّ الإنترنت،
فإنّك تبقى يا كتابي
بشذى صفاحتك العتيقة
ملاذي وموطن أحلامي.

لم أعرف يومًا حبيبًا تشارك حبيبَه مع أحد.
لكنّني ارتضيتُ وأرحّبُ
بكلّ من يهوى الكلمات...
فيا نديمي
ارتشفْها صباحًا مساءً ولا تخشَ الإدمان،
فهو الدواء لكلِّ علّةٍ وداء!!



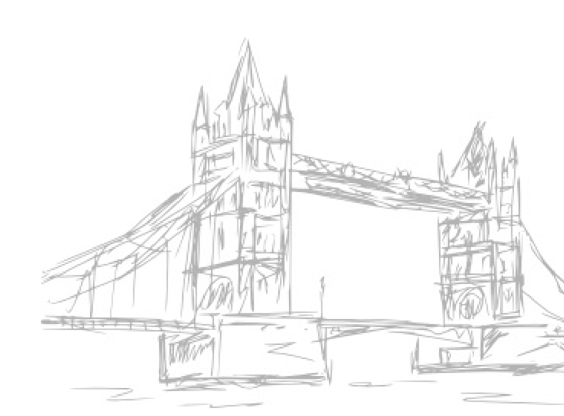
أنطوان رعد



من دفاتر المنفى

أرملة وأيتام

بالأمسِ ماتَ زِفْ
لم يَبكِهِ أحَدْ
ماتَ على الأرجحِ في سريرِهِ
عشيَّةَ الأحَدْ
مُخلِّفًا وراءَهُ أيتاما:
حذاءَهُ المثقوبَ والقُبَّعَةَ الرَّثَةَ والأَحلاما
وتاركًا زجاجةَ الجِعَه
أرملةً كم أشتهى، كم اشتهَتْ
لو سُجِّيَتْ مَعَهْ



السّكتة القلبيّة

ذاتَ مساءٍ عاصفٍ في آخرِ الخريفْ
كانَ على الرَّصيفْ
يَنتظرُ الباص، وقد عضَّهُ
البردُ وأعياهُ عنادُ الرَّغيفْ
يَحلُمُ بالعودةِ يومًا إلى
قريتِهِ في الوطنِ الحبيبْ
وزوجةٍ تخونُهُ خِلسَةً
كي تشتري لطفلِه الحليبْ
فكَّرَ بالعودةِ بالزَّوجةِ بالطفلِ وبالهديَّه
بالوطنِ القتيلِ بالقضيَّه
واختلطَ الحابلُ بالنّابلِ
بالأسعارِ بالإيجارِ
بالهديرِ بالدُّوارِ
بالباصِ وبالرَّغيفْ
وفجأةً خرَّ على الرّصيفْ
في دُغشةِ العشيَّه
مسافرًا بالسَّكتةِ القلبيَّه

كنوز الشّعراء

كلُّ ما أملِكُهُ في غربةِ الأيّامِ
أيّامي المهيضه
نعمةُ الصَّبرِ، رمادُ الحبِّ،
أشتاتُ حكاياتٍ وأحلامٍ جهيضه
وطموحاتٌ هَباءْ
وحنينٌ كاسرٌ يَنهشُني
كلَّ مساءْ
هذهِ يا أصدقائي الغرباءْ
هذهِ كلُّ كنوزي
عرضةً للسَّلبِ والنَّهبِ
على قارعةِ الأيّامِ صيفًا وشِتاءْ
ليسَ مَنْ يَحرسُها
ليسَ مَنْ يَسطو عليها
مَنْ تُرى يا أصدقائي الفقراءْ
مَنْ تُرى تُغريهِ بالسَّطوِ كنوزُ الشُّعراءْ؟

المبايعة

بايعتني أمَّةُ الأحزانِ
بالإجماعِ سُلطانَ زماني
هتَفَتْ باسمي وحيَّتني ابتهاجا
وبَنَتْ عرشي مِنَ القشِّ وصاغَتْ
لي مِنَ الخيبةِ والإحباطِ تاجا

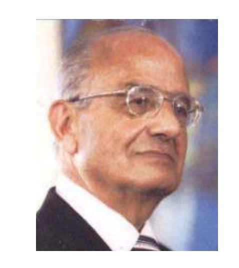
علَّمتني الرِّيح

علَّمتني الرِّيحُ أن أُبحرَ في جرحي
وأن أقرأَ في خارطةِ الخلجانِ
أسرارَ الخَطَرْ
علَّمتني الرِّيحُ أن أكتبَ عنواني
على الرِّيحِ وأن أمحوَ
عنواني بزخَّاتِ المَطَرْ.

الصُّعلوك

توَّجتني غربتي عن وطني المقهورِ
صعلوكًا كسيحًا
خدّشَتْ جبهتَهُ السّمراءَ
أظفارُ الزَّمانِ
خانني الحظُّ وضاقَ الكونُ
في وجهي ولكنْ
لَمْ أبِعْ سيفي ولَمْ أرهنْ حصاني.





أنطوان يوسف صفير

أناشيد
من
ملحمة أرزمار

النشيد الأوّل

معو.. من البحر طلّوا
عا صور
صيدا
جبيل
رِجعوا
عالجبل بالجرد طُلْعوا
ونِزْلوا
اعتمروا القمر. حزْموا الشمس غُمر
عاكْتافن ربوش ومْعادِيرْ
عِصي مجارِفْ
والبحر جارِفْ
عازِندن مُخلْ
وبإيدهن قِفلْ
تايفتحوا وْسَكّروا معابيرْ
هَوْدي الزنود السمرْ
هنّي الشبابْ المُردْ
شُغْل صخر الجردْ.

النشيد الثاني

صَوْتْهُنْ! يا قصْف ورَعدْ!
أنظارهُنْ لَمعْ وبَرْقْ
هِنّي لْلّي وَعّوا الشرقْ
وشَقّوا دروبِ المجدْ
ومن جَمرْ هاك الجمرْ
لْمِن سنديان الوعْر
شَعّلوا قناديلْ
وَزّعوا مشاعيلْ
دَعْسوا الظلم والقهرْ
عَقْدوا قْباب العزّ
وعنفوان الكِبْرْ
تا المجد عِنّا يضلّ
وجْيوش عم بْتْطُلّ
وجْيالْ عَم بتْمُرّ
شلوحْ الأرزْ هِنّي
وْسِنديانْ العِزّْ
لِلأرضْ هنّي مِلْحْ
إنْ فَسَدْ عِنّا مِلْحْ
ونْلَوى شي شِلْحْ
بيفجّروا البركانْ
بْيلبْسوا النيرانْ
وهونيك عا خطّ النارْ
بيكتبوا بالنارْ
لَبّيكْ أرزمار!..

النشيد الثالث

رِكْبوا الموجْ
خوتانْ هِنّي؟!..
خَيّن البحرْ
مْواجو لِعَبْ
وعْواصفو طَربْ
شافوا المجرفي مجذافْ
والرّبش مركبْ
والساريه مَعْدورْ
وقِطْعِةْ سما شْراعْ
يلَوّحْ لِلْ بْعيدْ
والدِني بِـ عيدْ
الحِلْم خاطرو مَجْبورْ
بْعُمرو هَيْك ما شافْ
العقلْ وجْنونو
الإبداعْ وفْنونو
بِـ قولوا لَـ الله: وقافْ!
مَرْبضْ خيولَك هَوْنْ
وهَوْن كلّ الكونْ
إنتْ إيلْ.. وإيلْ هُو الله
للأرض قَلْلا:
هوْني أنا صِلّيتْ
هوْني أنا تْجِلّيتْ.

النشيد الرابع

مْواج السفنْ
فوقْ البحر جايي
سَرّبتْ بكّيرْ
مشتاقَه
بِـ فيّ الأرز والشربينْ
تتْلاقى
مِشي السنديانْ
رايِه ورا رايِه
والمدى مرايِه
مِنْ بْعيد لوّح عالجبلْ
بيرقْ
مبارحْ كان جوّا البحر
زوْرق.
لَيْك السُفُنْ قطعانْ
والرعيانْ!
زُنود السمرْ
والبحرْ حقْلِه
السفنْ
جايبي نقْلِه
شقّتْ طريقْ الأَرز والشربينْ
وْسنديان عْتيقْ
عَمْ بي فيقْ
الشبابيقْ فْروخْ
عمْ بِـ تدوخْ
سكراني
خوابي السفنْ؟
أسرار مليانی
نْبيدْ.. شْراب العِزّْ
مَوْسَم قَزّْ
شَرْنَقْ بِقلْب الصخرْ

عمرو دهْر
نْكَبْ زَيْبقْ
جِمِدْ زنبقْ
الزنبق مشي
التقى بالوَرْدْ
حقل الورْد غادي
مِشي بكّير
يْلاقي السفنْ
عند هَوْني شيرْ
الصخرْ طارْ
بْحقل الوردْ
وشو صارْ؟..
شافْ السُفنْ جايي
من مَعْبورْ
كلّو صخورْ
وقراني
سِمع غناني
تْسمّع الصخرْ..
الورْد فوْقو شافْ
كِيفْ البحر طافْ
وحطّْ
من الشطّْ
طِلْعتْ سفنْ
صوبْ الجرْدْ
بِـ ليلةْ قمرْ
وشباب المرْدْ
طَفْروا عالمراكبْ
زَرْعوا المسَاكبْ
هدايا البحرْ..
هَوْدي الزنودْ السُمرْ
رِجْعوا
شَباب المُرْدْ



رِجْعوا!
الشَمسْ عاكِتْفِنِ غْمرْ
والقمر إكليلْ
وبإيدهُنْ قنديلْ
حَطّوه عاراسْ الجردْ
وارْتاحوا
ومن هونيك راحوا
يْوَزّْعوا البرشانْ
خبزْ الحقيقه
بكاسةِ القربانْ
يتناولوا. يرْكعوا يصَلّوا
وهيْك ضلّوا
وهيك علّم أرزمار
ومن يومها..
كان يلْلي كان:
إيلْ بِـ لبنانْ
الله صارْ.

• أرزمار، اسم علم معناه أرز الربّ. اللفظة مولّدة Néologisme، منحوتة، مركّبة من الاسم «أرز»، الشجرة الرمز للبنان، ومن اللاحق Suffixe «مار» ومعناه الربّ: وهو من أصل آراميّ سريانيّ «مار» بفتح الميم عند شعوب شرق الفرات (البابليّين والأشوريّين)، وبضمّ الميم «مور» عند سكّان غرب الفرات وبلاد ما بين النهرين.

• راجع أيضًا «كتاب أرزمار» للمؤلّف. دار التراث اللبنانيّ ١٩٨٢، المطبعة البولسيّة، جونيه.

من منشوراتنا



General Public Internet Series
Societal Research Series
Lebanese Emigration Research Series
Water, Energy & Environment Research Series
Financial & Economic Studies Series
Historical Studies Series
Religious Illuminations Series
Cultural Horizons Series
Humanities Series
Lebanese Manuscripts Series
Christian Education Series
Compendium Of The Virgin Mary in Lebanon
University Texbook Series

سلسلة الشأن العام
سلسلة الأبحاث المجتمعيّة
سلسلة دراسات الإنتشار اللبناني
سلسلة الأبحاث المائيّة و البيئيّة
سلسلة الدراسات الماليّة و الاقتصادية
سلسلة الدراسات التاريخية
سلسلة أنوار الأديان
سلسلة آفاق ثقافية
سلسلة الانسانيات
سلسلة المخطوطات اللبنانية
سلسلة الموركس
سلسلة التنشئة المسيحية
موسوعة العذراء مريم في لبنان
سلسلة المقررات الجامعية

is now available on NDU website, under **www.ndu.edu.lb/research/ndupress/spirit**



